وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 08 مـــــاي 1945 قالــــــمة

كلـــــية الــعلوم الإنـــــسانية والإجتـــــماعية

قسم التـــــــاريخ



المعادن في بلاد المغرب الإسلامي الوسيط

مذكـــــرة مقـــدمة لـــــنيل شـــــهادة المــــاستر في التاريخ الوسيط الإسلامي

إعداد الطالبة:

طيبي سهام

إشراف الدكتور:

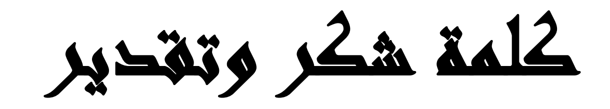
عبد الجليل قريان

لجنة المناقشة

الأســــــــــتاذ	الرتــــــــبة	الصـــــفة	الجامـــــــــعة
د. مسعود خالدي	أستاذ محاضر "أ"	رئيـــــــسا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة
د. عبد الجليل قريان	أستاذ محاضر "ب"	مـشرفا ومقررا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة
د. سناء عطابي	أستاذ مساعد "أ"	مـــــناقشـــــا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية: 1438 – 1439هـ/2016 - 2017م


بسم الله الرحمن الرحيم



الشكر الأول لله عز وجل الذي بث الروح وسيرها إلى التأمل والتدبر، وألهمها جهادها إلى العلم فسبحان الله خالق الوجود دائم العطاء والجود، الموجود فوق كل وجود، وأسأله الفلاح في الدنيا والآخرة والرشد والصلاح.

وأتقدم بخالص شكري وعظيمي امتناني إلى أستاذي الفضل الدكتور: عبد الجليل قريان الذي منحني النصح والتوجيه وأرشدني إلى طريق البحث والتنقيب، فقد حببني بالموضوع بأسلوبه الراقي وشخصيته القوية منذ أن كان مجرد بحث مشروعا للدراسة إلى مذكرة ماستر فله جزيل الشكر والاحترام والتقدير، فلطالماكنت أبا وأستاذا وأهلا لهذه المكانة.

كما أشكر كل من ساعدني وقدم لي النصح والتوجيه وأخص بذكر أساتذة التاريخ الوسيط لدفعة الأول للماستر 2017م من جامعة8 ماي 1945 قالمة.

ولي عظيم الشكر والاحترام إلى أول معلم علمني حرفنا من إمام مسجد بن عباس إلى معلمي مدرسة علوط يحي إلى متوسط ورفلة وثانوية هيليوبوليس.

فلهم جميع أسمى احترامي وأعلى تشكراتي

إهداء

ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا

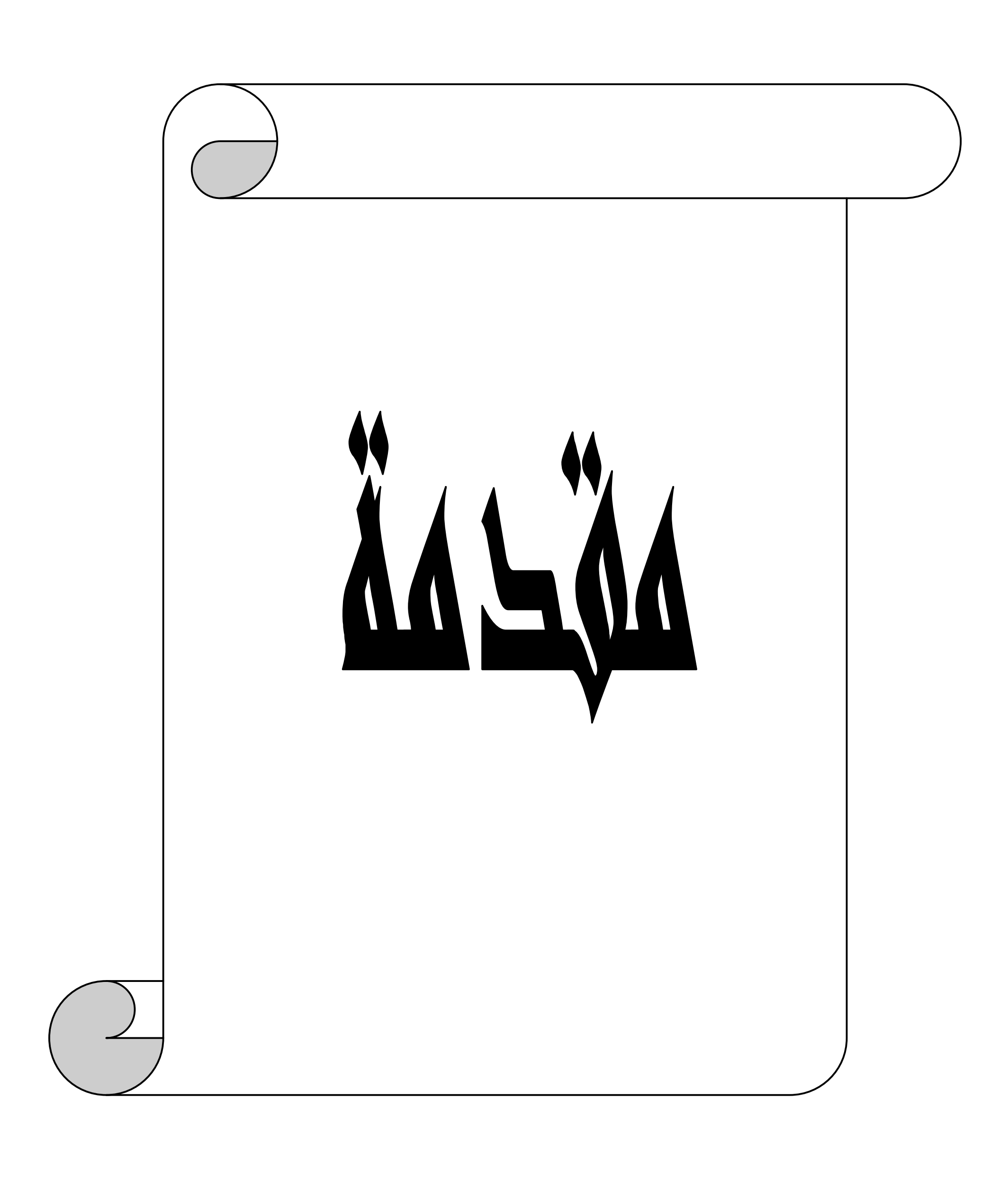
إلى أبي وقرة عيني وسندي في الحياة، يا أبتاه فلا طالم كنت أخي وحبيبي وبيت أسراري وصديقي، فأنت أهلا لهذه المسؤولية التي تحملتها منذ أن أسكت بيدي وسرت بي في طريق العلم.

إلى أمي الدمعة السيالة والدعوة المستجابة، فشكرا لله الذي خلقني بنتا لأحسن والدين في الدينا، داعية إياه أن يشفيكما وينقص من عمري ويهبه لكما حتى تصلا بأخي الأصغر أيمن إلى أحسن ما وصلت له أنا، وأدعو الله أن يقدرني حتى أُعوضكما على ما بدر مني من متاعب لك أنت يا أبي وأنت أماه.

إلى إخوتي: أبي الثاني وأخي الأكبر سفيان وحرمه وابناه أصيل وزياد، وأخي كمال وزوجته، وأخي محي الدين، وأصغر أخوتي أيمن، وإلى أختي الوحيدة زينب وزوجها حليم وأبنائها لجين ومحمد نور الإسلام ورحمة.

إلى من علمني حب الحياة وأدخل الفرحة لي قلبي أصدقائي وزملائي في العلم وأخص بذكر شمرة، روضة، زهرة، حكيمة، سميرة، راضية، صفاء.




مقدمة

تعد بلاد المغرب الإسلامي من أهم أقاليمالقار ة الإفريقية من جهة وخير إقليم للدولة الإسلامية من جهة أخر ى، وقد نالت هذه المكانة المحترمة بفضل موقعها الجغرافي المميز بمرور خط الاستواء عليها وانحصارهابين مداري السرطان، الذي يعطيه تميز اكبير ا بين الأقاليم فقد جمع الفصول الأربعة وجمع بين الجبال و السهول و الوديان و الهضاب.

ولعل هذا ما جعلها تحمل بين طبقات أرضها ثروة معدنية قيمة، تسابق التجار والصناع في العمل عليها، لهذا حركني هذا الموضوع فاتخذت من المعادن في بلاد المغرب مذكرة بحث أكاديمي يشغل الأفكار وينمي الذات.

أسباب اختيار الموضوع:

ويرجع سبب اختياري لهذا الموضوع رغبة شخصية قوية في دراسة هذا النوع من الدراسات المهمشة من الناحية البحثية والتي تجمع بين البعد الاقتصادي والاجتماعي، لهذا توجهت إليه لإشباع رغبتي العلمية في تسليط الضوء على ثروة معدنية ثمينة كانت تحرك عجلة الاقتصاد المغربي، وتؤثر في البنية الاجتماعية لبلاد المغرب الإسلامي.

ـ وعن سبب اختياري للموقع الجغرافي وتحديده ببلاد المغرب، يرجع إلى معرفة سابقة بتوزيع المدن في هذه الأرض الطيبة، ومحبتي بأرض تسابق أسلافي في الدافع عنها والحرص على حماية ثرواتها، لذلك خصصت موضوع دراستي حول المعادن المنتشرة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب في أراضي أجدادي، أرض لطالما طمع الغير في التسلط عليها، ومن هنا لابد لي أن أذكر أن الدراسات السابقة لهذا المجال الجغرافي قد سيطر عليها الجانب العسكري والسياسي.

الإشكالية:

وهذه الدارسة هي رؤية جديدة تابعة لركب الدراسات التاريخية التي ظهرت في السنوات الأخيرة، وما يميزها عن غيرها وسابقيها من الدراساتتعرضها وا ٍبرازها للإشكالية الأساسية المتمثلة في كيفية رصد حركة المعادن في بلاد المغرب الإسلامي؟ والتي تنبثق عنها التساؤلات التالية:

- في معرفة حدود بلاد المغرب من الناحية الطبيعية التضاريسية، مع توضيح طبقات الأرض التي تكون المعادن؟
- وما هي أنواع الأقاليم التي تمكننا من تمييز جيد المعدن من رديئه؟
- وما هو التوزيع الجغرافي للمعادن في أرض المغرب وكيف كان التعامل معها؟
- وهل للتربة دورا في التمييز بين هذه المعادن البرية والبحرية؟
- وكيف ساعدت هذه الثروة في تحسين حال المناطق التي تتواجد فيها؟ وهل استطاعت المناطق المعدنية من أن تفرض اسمها على السوق العالمية؟
- وما هو دور المعادن في تحريك عجلة التجارة الداخلية والخارجية؟

هدف الدراسة:

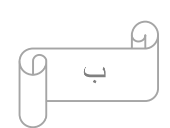
هذه الدراسة ابتعدت بها عن الجانب العسكري ودققت بها باب الاقتصاد الاجتماعي، لما رأيتها لم ترض هوس القارئ الذي مل من تعداد أوراق مملوؤة بسرد الحروب والثورات، لذلك آمل أن تكون هذه الدراسة خيطا جديدا من خيوط الدراسات العلمية الأكاديمية، محاولة إعطاء رحلة جغرافية تعود بالقا ئ للعيش في العصور الوسطى بطابع حديث، فيتنقل من خلال موضوعي بين مدن وحواضر تاريخية يتعلم من خلالها لغة البربر ويأخذ من الوافدين لبلاد المغرب الصنائع والحرف، فهدف موضوعي واضح للعيان، هو رسم صورة جميلة عن معادن بلاد المغرب في فترة طويلة من حقبة تاريخية في العصور الوسطى.

حدود الدارسة:

حددت موضوع الدراسة مرحلة من التاريخ الإسلامي خلال فترة العصور الوسطى.

المنهج المتبع:

من أجل الإحاطة بالموضوع اتبعت المنهج الوصفي التحليلي الذي يسمح لنا بمعرفة التضاريس والتباين الجغرافي للمدن ومعرفة أشكال وأنواع المعادن، إضافة إلى كيفية تحرك القوافل التجارية الداخلية والخارجية المحملة بالمعادن.



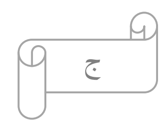
الخطة:

تناولت في هذا البحث ثلاثة فصول كما يلي:

- الفصل التمهيدي: خصصته لتعريف بجغرافية بلاد المغرب، حاولت فيه جمع التضارب في التعريف والحدود الجغرافية وبين أقسامه، كما حاولت معرف تضاريس بلاد المغرب.
- الفصل الأول: كان بعنوان جغرافية توزيع المعادن وقسمت هذا الفصل حسب طبيعة وأماكن تواجدها، أي حسب الطبيعة الكيميائية للمعدن وعناصر الأرض.
- الفصل الثاني: فكان مخصصا لدور المعادن في تنمية اقتصاد بلاد المغرب، حيث حاولت في هذا الفصل أن أجمع معظم الحرف المعدنية التي اشتغل بها المغاربة خلال هذه الفترة، وكيف كان لهذه المعادن دورا في تحريك عجلة التجارة؟
- الخاتمة: تناولت فيها ملخص لأهم النتائج المتواصلة إليها من خلال البحث

الصعوبات: ومن العر قيل التي و اجهتني:

- صعوبة التعامل مع المصادر خاصة وأن فترة الدراسة طويلة خلال ثمانية قرون من العصور الوسطى.
- تضارب قوي بين المصادر خاصة في كتب الرحالة الذين قصدوا بلاد المغرب من المشارقة الفاتحين وغيرهم الذين لم يعرفوا المنطقة جيدا، خاصة وأن فترة مكوثهم في المدينة لا تتعدى أسبوعا أو أكثر لذلك نجدهم قد غفلوا عن ذكر تفاصيل كثيرة تخص منطقة ما، فنجد الوصف سطحيا يخلو من الحيوية، تستدعى من الباحث أن يقرأ مابين السطور ويستنبط الأفكار ليخرج مكان تواجد المعدن.
- انعدام الدراسات السابقة لمثل هذا الموضوع خاصة أنه لم يذكر إلى في تلميحات مبسطة خالية من الحيوية والتعمق والإثبات.
- صعوبة الحصول على المصادر الورقية، إضافة إلى أن المعلوم منها نجده مخطوط أو نسخة إلكترونية خالية من البيانات.



ومن بين المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة:

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي من علماء القرن السادس الهجري، قدم لنا هذا المصدر مراكز تواجد المعادن ومواقع جغرافية لبلاد المغرب.
- البيان المغرب لابن عذارى، ساعدنا في وصف بعض المدن المعدنية والمراكز التجارية.
- المؤنس في أخبار افريقية وتونس لابن أبي دينار القيرواني، الذي خصنا بدراسة موضحة لمدينة تونس والقيروان.
- حسن الوزان وكتابه وصف إفريقيا، مصدر مهم للمدن وتقسيم جغرافي للموقع، وعلاقات السكان بالتجارة و الحياة الاجتماعية بصفة مفصلة.
- ابن حوقل صورة الأرض، يعود بك هذا المؤلف إلى عصور خلت من خلال وصفه للمدن والحواضر التاريخية وصور جغرافية للقرى والمدن الإفريقية.
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي، يساعدنا في معرفة الأبعاد والمسافات بين المدن.
- ومن المعاجم المهمة في تحديد المواقع: معجم البلدان للحموي، الروض المعطار للحميري، تقويم البلدان لأبي الفداء، كتاب الجغرافيا للزهري، كما ساعدنا رحلة ابن بطوطة في ضبط أسماء المدن ومواقعهم.

ومن المصادر التي ساعدتنا في تعريف المعادن و أوصافها والبيانات التي تخصها:

- كتاب الجماهر في معرفة الجواهر للبيروني.
- كتاب الجوهرتيين العتيقتين للهمداني.
- ابن الأفكاني وكتابه نخب الذخائر في أحوال الجواهر.
- كما ساعدنا الفيروز ابادي في كتابه القاموس المحيط في معرفة الألفاظ والمصطلحات.
- والزبيدي وكتابه تاج العروس في تعريف بالألفاظ.

- وأحسن مصدر في معرفة الموازيين والمكاييل الذهبية والفضية لأبي الحسن الحكيم في كتابه الدوحة المشتبكة.
- إضافة إلى إخوان الصفاء الذي يكشف مناطق المعادن وأشكالها وحالها.

ومن المراجع التي وجد فيها شيئا من الموضوع:

- تاريخ المغرب العربي لسعد زغلول.
- شارل أندري جوليان وكتابه تاريخ إفريقيا الشمالية.
- حسين مؤنس وكتابه معالم تاريخ المغرب والأندلس.
- تاريخ المغرب والأندلس لعصام الدين الفقي.
- ممدوح حسين افريقية في عصر الأمير إبراهيم الثاني الأغلبي.

الفصل التمهيدي

جغرافية بلاد المغرب

المبحث الأول: الحدود وأصل التسمية

المبحث الثاني: أقسام بلاد المغرب الإسلامي

1- المغرب الأدنى

2- المغرب الأوسط

3- المغرب الأقصى

المبحث الثالث: تضاريس بلاد المغرب

أ. المناطق الساحلية

ب. المناطق الداخلية

المبحث الأول: دراسة جغرافية لبلاد المغرب الإسلامي

لدراسة جغرافية بلاد المغرب الإسلامية أهمية كبيرة في معرفة المجال الحيوي الاقتصادي لتلك المنطقة، لذلك عرف العرب هذا العلم وعنوا به وأعطوه اهتماما خاصا[(1)].

لذلك ظهر تباين ملحوظ بين الرحالة والمؤرخين في فصل الحدود خاصة في فترة طويلة من العطور الوسطى.

إن بلاد المغرب هي المساحة الممتدة بين مصر إلى المحيط الأطلسي[(2)]، إلا أن كثر النقول واختلاف الأزمنة جعل البعض يعرفها بشكل مجمل والأخر يختصرها فيها.

فنجد في من دققها أي ذكرها بشكل أفضل ومفصل، جاء ذكر أن بلاد المغرب هي الامتداد الجغرافي الذي يبدأ من قرية السلوم وهي قرية صغيرة غرب الإسكندرية في الجهة الشرقية لشمال إفريقيا إلى المحيط الأطلسي الغربي، ومن الشريط الساحلي الشمالي لقارة الإفريقية، والذي يطل على بحر الأبيض المتوسط أو ما يصطلح عليه بحر الروم، إلى جنوب الصحراء الكبرى التي تسمى ببلاد السودان جنوب الصحراء[(3)].

وقد قال عنها صاحب نزهة الأنظار أنها تطل على البحر المظلم في جهة الغرب[(4)]، وقصد بذلك المحيط الأطلسي، وربما أطلق عليه هذه التسمية لأن لبحر لم ير كبه أحد في تلك الفترة، ويكون بذلك قد أخذ عن الإدريسي: حين قال (أن البحر المظلم بأنه تنتهي عنده

---

(1) ـ الجغرافيا: علم من العلوم التي برز فيها العرب، وهو علم يختص بدراسة المجال الأراضي وتحديد أبعاده وأول استعمال لهذا العلم كان من طرف إخوان الصفاء وظهر هذا العلم بعدة أسماء: (تقديم البلدان، علم المسالك والممالك، صورة الأرض، جغرافية الأقاليم، علم البرود) أنظر: محمود محمدين، التراث الجغرافي الإسلامي، دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1914 هـ، 1999 م، ص 17.

(2) ـ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1421هـ، 2000 م، ج6، ص151.

(3) ـ عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1411 هـ، 1991 م، ص11.

(4) ـ محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: على الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، 1988م، م1، ص43.

المعمور الأرض فلا يعلم أحد ما خلف هذا البحر المظلم ولا يأتي على ذكر أحد من البشر أنه مر به ونجى منه[1].

وهذا يدل على أن البحر لم يكن مركز العبور عند الرحالة ويؤكد لنا أن وسيلة التنقل كان سيرا أو عن طريق الحيوانات وهذا يسهل عليهم رسم المجال الجغرافي بشكل متفاوت بين المؤرخين.

ويظهر هذا التباين فيمن فصل في الحدود دون إدخال الأندلس للمجال الجغرافي للمغرب، إن هذه المنطقة تبدأ من ضفة نهر النيل غرب الإسكندرية إلى مدينة سلا في المغرب غربا المطلة على المحيط الأطلسي[2].

وتبدأ بذلك من جبل مييس في شرق الإسكندرية الذي يبعد نحو ثلاثمائة ميل عن الإسكندرية إلى مدينة ماسة في مضيق الأطلس يقصد بها مضيق جبل طارق المحاذي للأندلس في شمال على البحر المتوسط إلى الجنوب المتصل بجبال الأطلس وأنه إلى الصحراء الكبرى الإفريقية[3].

في حين يتسع المدلول فيشمل المغرب من مصر إلى الأندلس، فقد قسم معتمدي هذه الفكرة المغرب إلى قسمين: قسم اصطلحوا عليه بالمغرب الشرقي وقسم بالمغرب الغربي.

فنجد ابن حوقل اصطلح أن للبحر جانبين شرقي وغربي وقصد بالشرقي الأندلس والغربي بلاد المغرب، ومنه فالجانب أو القسم الغربي فضمنه من مصر وبرقة الحد الفاصل في

---

(1) ـ أبي عبد الله الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422 هـ، 2002م، م 2، ج1، ص 525.

(2) ـ ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج ، س ، كولان و إليقى بروقنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983 م، ج1، ص5. انظر: ابن أبي دينار القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية بمحاضرتها المحمية، 1286 هـ، ص 20. وانظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص251.

(3) ـ حسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1983 م، ج1، ص28.

معظم المصادر التي تفصل الحدود بين الشرق والغرب إلى افريقية وسبتة وبقي المناطق على التتابع إلى بحر المحيط[1].

كما نجد الاصطخري اصطلح كلمة القسم الشرقي وقصد بذلك بلاد المغرب من حدود برقة إلى المحيط الأطلسي ثم ذكر القسم الغربي وذكر بلاد الأندلس[2].

ويظهر لنا أن المؤرخين اتفقوا في ضم الأندلس إلى بلاد المغرب لكن لم يتفقوا في تسمية القسم الشرقي والقسم الغربي.

وقد وافقهم المقدسي[3]، في ضم الأندلس وثخوم الشام إلى المغرب وحتى ضم مصر لإقليم المغرب ومنه يتسع المصطلح مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية وتغير مركز الخلافة.

وترجع حقيقة تقسيم الدولة الإسلامية إلى مشرق ومغرب إلى أيام الخليفة العباسي المهدي الذي قسم الأقاليم على أبنائه فعهد إلى الهادي بولاية العهد ثم ولى الرشيد في سنة 163هـ بولاية المغرب كله[4]، ومنه فبلاد المغرب بشكل العام تعنى النصف الغربي للدولة الإسلامية[5].

وقال فيها مقديش أن الإسكندرية مصرية مغربية وحد بلاد المغرب بغروب الشمس ونهايتها في الجنوب الصحراء المتلاحمة مع بلاد السودان وفي الشمال بلاد الأندلس[6].

وذكر ذلك ابن خرداذبه بأن قبل أهل المغرب وا ٍفريقية تصل إلى الركن الشامي[7]وقصد بذلك مركز شروق الشمس بنسبة للمغرب .

(1) ــ أبي القاسم ابن حوقل النصيبي، صور الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1992 م، ص 64.

(2) ــ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري، مسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1927م، ص19.

(3) ــ شمس الدين المقدسي، أحسن التقاسيم في معرف الأقاليم، ط2، دار صادر، بيروت، 1906 م، ص 62.

(4) ــ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مرجعة: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العام، بيروت، 1407هـ، 1987م، م5، ص 245.

(5) ــ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال، منشأة الناشر للمعارف، الإسكندرية، 2003 م، ج1، ص69.

(6) ــ محمود مقديش، المصدر السابق، ص44/ وانظر: ابن خلدون، مصدر السابق، ج1 ، ص 98.

(7) ــ أبي القاسم عبيد الله ابن خرداذبه، المسالك والمملك، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت،1889 م، ص9.

غير أن صاحب الاستبصار أنفرد عن الجميع في تقسيم بلاد المغرب إلى قسمان قسم ساحلي والآخر داخلي صحراوي، وذكر أن الساحلي محاذي لبحر الروم من الإسكندرية إلى طرابلس حتى يصل إلى طنجة على بحر الظلمات، أما الصحراوي فذكرها من مدينة المسنى المجاورة للإسكندرية وذكر الواحات إلى جبال الأطلسي والمدن السودانية[1].

ونتوصل بذلك لمفهوم مبسط أن بلاد المغرب شكلها رباعي متفاوتة في أضلاعها تتخلله مرتفعات مسننة يتجاوز ارتفاعها 2000م (جبال الأطلس) وهي قسمان ساحلية وداخلية، تطل شمالا على بحر الأبيض المتوسط وغربا على المحيط الأطلسي وجنوبا رمال الصحراء الكبرى[2].

فيما ذكر صاحب قطف الزهور أن هذه الأرض يحدها شمالا الأوقيانوس والاتلانتيكي وهي جزر جافة في بحر الروم وشرقها متصل بمصر وجنوبا الصحراء الكبرى وجهة الغرب جزر الأوقيانوس الانتيكي[3]، ولعله قصد بهذا لفظ جزر صقلية وسردنية.

ومن المرجح أن سبب الاختلاف في الحدود بين المؤرخين يعود إلى وضع مصر ضمن حدود العالم الإسلامي الغربي، بسبب الخلاف حول الحدود الغربية لمصر فهنالك من يعتبر إقليم برقة (بنغازي) ضمن حدود مصر[4]، وهناك من يرجعها لبلاد المغرب.

---

(1) ـ مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، طباع ونشر دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص 110، 142 ،150.

(2) ـ شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة، طبعة مؤسسة تاوالت الثقافية،2011 م، ص8.

ـ محمد الهادي جارش، التاريخ المغاربي القديم(منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي)، المؤسسة الجزائرية للطباعة، ص13.

(3) ـ يوحنا أفندي ابكاريوس، قطف الزهور في تاريخ الدهور، ط2، طبع في بيروت، 1885م، ص 226.

(4) ـ حسن مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، 2004 م ،ص24، 25.

التسمية:

أطلق المؤرخون على مر التاريخ أسماء مختلفة على بلاد المغرب فقد كان الإغريق يسمون القسم الشمالي من قارة إفريقيا بسم ليبو وليبيا وقد ذكر هذه الاسم في التوراة[1] الذي كان معظم سكانه ذوي البشر البيضاء وسمو سكان الصحراء الذين عاشوا في أوساط إفريقيا بسم بلاد الأحباش السود وذلك تيمن ببشرتهم السوداء[2].

وحددها صاحب قطف الزهور بأنها المنطقة التي تبدأ شرقا من البحر الأحمر ومتصلة شمالا ببلاد النوبية المحاذية لبلاد المغرب وغربا ببلاد الشلوك وجنوبا بسلسلتي الأطلس أو ما يصطلح عليه جبال القمر[3].

بينما أطلق هيرودوت لفظ أفريكا على كل ما يلي مصر غربا حتى المحيط، كما لم يتغاض على لفظ كلمة ليبيا أثناء سرده لمنبع النيل[4]، وهذا يدل على أن المنطقة لم تعرف باسم المغرب إلى مع قدوم الفاتحين في أخذ الرومان عن الفينيقيين التسمية وأطلقوا اسم ولاية افريقية البروفنسلية Provincia Africa على قرطاجة وما حولها حتى نوميديا[5]، وحتى المناطق المطلة على المحيط الأطلسي.

لتتسع التسمية أكثر في العهد البيزنطي فكانت افريقية البيزنطية تشمل كل من دخل في طاعة الوجود الروماني في المنطقة من شرق برقة إلى غرب طنجة محتلة بذلك الشريط الساحلي للبحر الأبيض المتوسط الذي أطلق عليه تسمية بحر الروم[6].

---

(1) ــ محمد الهادي جارش، المرجع السابق، ص 21.

ـ محمد مصطفى بازامه، ليبيا، ط2، مكتبة قورينا للنشر والتوزيع، بنغازي، ص 13.

(2) ــ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، الناشر مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1984م، ص11.

(3) ــ يوحنا أفندي ابكاريوس، المصدر السابق، ص 224.

(4) ــ جورج ايفانز، هيرودوت، ترجمة: أمين سلامة، مراجعة : كمال الملاخ، ص 79.

(5) ــ حسن مؤنس، المرجع السابق، ص 24.

(6) ــ المرجع نفسه، ص 25.

ـ عصام الدين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص 12.

وقد أكد يوحنا أفندي أن اسم افريقية كان يختصر على مملكة قرطاجنة فقط ثم أخذ يمتد حتى عم جميع ممالك القارة[1]، حيث أن المنطقة التي ضمت أجزاء من مصر والأقاليم المجاورة لها من بلاد البربر تنقلت بين الرحالة بأسماء متعددة بتعدد الأزمنة والمناسبات.

كما ذكر ياقوت الحموي أن إفريقية اسم يدل على مملكة كبيرة مقابلة للجزيرة صقلية وسميت افريقية نسبة إلى افريقيش بن أبرهة ابن الرائش الذي اختطها بعد أن غز المنطقة وعمر عليها حكمه وحددها من برقة شرقا إلى المحيط غربا محصورة بين البحر شمالا ورمال الصحراء الكبرى جنوبا [2].

كما ظهر أيضا لفظ أمزيغ أو بربر، وذلك حين ربط المؤرخون هذه التسمية بالجد الأول بر (Bar) [3].

كما قالوا عنها أن افريقية هم قوموا من الأفارقة يرجع نسبهم إلى(فاروق بن مضر من العرب العاربة) التي استوطنوا أرض شمال إفريقيا[4].

وقام بعضهم ونسبهم إلى افريقش حين عاينهم وسمع رطانتهم فسمهم بالبربر لأن لغتهم غير مفهومة[5].

فقد أطلقت الشعوب قديما على الأمم التي لا يفهم كلامها اسم البربر أو عجم، وهم البارباري (Barbari) وقد سكنت هذه الفئات بلاد المغرب ويقال أنهم من أصل زنجي يسمون بكناوا ومعناها الرجل الأبكم أو الأخرس[6].

---

(1) ـ يوحنا أفندي أبكاريوس، المصدر السابق، ص228 .

(2) ـ شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت،1397هـ،1977م،ج1، ص 228.

(3) ـ محمد الهادي جارش، المرجع السابق، ص 25.

ـ عثمان الكعاك، البربر، تامغناست للنشر والتوزيع، ص7، 8.

(4) ـ مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 111.

(5) ـ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 116.

(6) ـ محمد شفيق، ثلاثة وثلاثين قرن من تاريخ الأمازيغيين، (د ، ن)، ص ص 16، 18.

ورغم تعدد الألفاظ إلى أن المعنى واحد فالمراد بلفظ المغرب هو كل إقليم يقابل المشرق، فرغم أن بعضه جعل هذا لفظ يشمل الشريط الشمال لإفريقيا والبعض الآخر إلى أنه يشمل كل القارة بما فيها الأندلس[1].

إلا أن هذا اللفظ اتساع مع رقعة الدولة الإسلامية وتغير مركز الخلافة[2]، فلم تكن بلاد المغرب معروفة بهذا الاسم عند الفاتحين المسلمين حينما قصدوا المنطقة فاتحين بل أطلق اسم إفريقية على المناطق المتصلة طبيعيا ببلاد مصر وبامتداد التوسع الإسلامي بنسبة لمركز الخلاف أصبح كل إقليم يقع في غروب الشمس بالمغرب[3].

(1) ـ أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ص 9 .

(2) ـ عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص 11.

(3) ـ محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ط3، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت،1408 هـ، 1987 م، ص12.

المبحث الثاني: أقسام بلاد المغرب

من المعلوم أن بلاد المغرب وحدة جغرافية متماسكة الأطراف إلا أن الضرورة تدعو إلى تقسيم هذه المنطقة حسب المناسبات، إضافة إلى أن كثرة النزاعات كان من أهم الأسباب في تغيير المجال الجغرافي للمنطقة.

لذلك قسم بلاد المغرب إلى ثلاثة أقسام حسب قربه وبعده عن مركز الخلافة في المشرق[(1)].

1. المغرب الأدنى:

وتسمى أيضا افريقية ويحدد مجالها الجغرافي من برقة أو طرابلس غربي مصر[(2)]، إلى أجزاء الشرقية للجزائر وكانت الجناح الشرقي لبلاد المغرب، وكانت عاصمتها القيروان في فترة الحكم الأغالبي، وقد شهدت في فترة حكم هذه الأسرة توسع وازدهار كبير خاصة في حكم الأمير إبراهيم الثاني (184 هـ، 296 هـ / 800 م، 909 م) [(3)]، وامتد نفوذها من سواحل طرابلس حتى غرب قسنطينة[(4)].

ثم تصبح المهدية عاصمة لها عام 921 م أيام الفاطميين والتي أسمها عبيد الله المهدي ولقب هذا الأخير بالخليفة سنة 910 م، وشهدت فترة الفاطميين في بلاد المغرب كثرة الفتن هذا ما جعلها تنتقل إلى مصر[(5)]، وتترك المجال لمدينة تونس الحفصية.

---

(1) ـ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص12.
- أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 10.

(2) ـ محمد مصطفى بازامه، المرجع السابق، ص 16.

(3) ـ ممدوح حسين، إفريقية في عصر الأمير إبراهيم الثاني الأغالبي، دار عمار للنشر والتوزيع، 1417هـ، 1997م، ص11.

(4) ـ محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس، ط3، دار سراس للنشر والتوزيع، تونس، ص42.

(5) ـ المرجع نفسه، ص 46،47.
- عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص ص 49،55 .
- أبي عبد الله الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، مكتبة العتيقة للنشر، ص 6.

وشهدت تونس في فترة الحكم الحفصي في أوائل القرن السابع الهجري العاشر ميلادي، ازدهار عمراني ونهضة علمية كبيرة جعلتها مركز تجمع لطلاب العلم وذاع صيت جامعه (جامع الزيتونة) بين أهل المغرب[1].

وهذا يدل على تشجيع الخلفاء وحبهم لمثل هذه الأمور، وبقي اسم المغرب الأدنى تونس حتى وقتنا الحاضر.

2. المغرب الأوسط:

وهو القسم الثاني للبلاد المغرب، وحدوده غير ثابتة بسبب كثرة النزاع بين الدول القائمة في المغرب، ويشمل بلاد الجزائر ويمتد من تاهرت حتى وادي ملوية وجبال تازة غربا[2]، وكانت عاصمته مدينة تاهرت في عهد الدولة الرستمية الخارجية الإباضية، وتقع تقريبا في مكان تيارت في ولاية وهران غربي الجزائر [3].

وقال عنها ابن عذارى بأنها المنطقة التي تقوم من طرابلس ببلاد الزاب الأسفل وحدها مدينة تاهرت[4]، ثم عاصمة أيام الزيرية الصنهاجية، وامتد نفوذها إلى أقصى الجنوب (غربي الجريد وغربي نفزاوة)، وضمت تبسة وباغاي في سفوح جبال الأوراس ومجانة ومسيلة وبلزمة وأوراس والزاب وسط بسكرة والحضنة وأشير... [5]، ثم انتقلت العاصمة إلى تلمسان أيام بني عبد الواد[6]، والذي عرف بعدوانيته المستمرة لبني مرين، وذلك بسبب الحدود التي

(1) ـ أحمد الطويلي، في الحضارة العربية التونسية، دار المعارف للنشر والتوزيع، ص ص 7، 10.

(2) ـ عصام الدين الفقي، المرجع السابق، ص 13.

(3) ـ أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 10 .

(4) ـ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1 ، ص 5.

(5) ـ الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية من القرن 10 إلى القرن 12 م، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي للنشر، بيروت، 1992 م، ج2، ص 81.

ـ محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 14.

(6) ـ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 390.

تحول كل واحدة ضمها إلى إقليمها[1]، وأخير صارت الجزائر بني مزغنة عاصمة للمغرب الأوسط.

3. المغرب الأقصى:

وسمى بذلك لبعده الكبير عن مركز الخلافة وتقع في الجزء الشمالي الغربي من قارة إفريقيا، محصورة بين درجتي عرض 15 و36در جة شمالا و0 و18 درجة غربا وشرقا، مطلة بذلك على بحرين (بحر الروم والمحيط الأطلسي) [2].

وقد حدها ابن عذارى في تقسيم بلاد المغرب من تاهرت عاصمة المغرب الأوسط إلى نهاية بلاد طنجة من مدينة سلا[3]، وقصد بذلك المغرب الأقصى، حيث ترددت عاصمتها بين فاس ومراكش التي كانت لها مكانة كبيرة في بلاد المغرب، واعتبرت في كثير من الأحيان عاصمة للمغرب كله.

فقد ظفر الأدارسة العلويون بفاس أسسوا عاصمتهم سنة 191هـ، وأصبحت معهم مركز إشعاع علمي كبير[4]، إلى أنا عبد الله الشيعي الذي كان يدعوا للمهدي أنزل مكانة هذه الدولة وجعل المنطقة تمر بفترة صعبة، فلم يسترح الناس من حرب حتى تقوم الأخر[5].
ثم انتقل مركز السلطة للمرابطين الذين بنوا مراكش سنة 463 هـ، وأخضعت الأخيرة مناطق كثيرة، ووصلت سلطتهم حتى بلاد السودان والتي يقال أن لها الفضل في نشر الإسلام في المنطقة بفضل العلاقات التجارية التي قامت مع بلاد السودان إضافة إلى الرحلات العلمية

---

(1) ـ محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1408 هـ، 1987 م، ص 216.

(2) ـ محمد الأمين محمد ومحمد علي الرحماني، المفيد في تاريخ المغرب، دار الكتاب للنشر، الدار البيضاء، ص 8،7.

(3) ـ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص5.

(4) ـ حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين)، مكتبة الخنانجي للنشر، مصر، 1980 م، ص 5.

(5) ـ ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب روض القرطاس، طبع في بدار الصناعة المدرسية، أوبسالة،1823م، ص115 ،116.

التي كان السلاطين المرابطين يشجعونها[1]، ويعتبر نهر ملوية حدا فاصلا بينها وبين المغرب الأوسط وأخر عاصمة لها الرباط .

كما نلاحظ أن الحسن الوزان قسم بلاد المغرب إلى أربعة أقسام مختلفة بذلك على سابقيه، وهذه الأقسام كانت مكونة من مملكة مراكش والتي ضمت سبعة أقاليم، ومملكة فاس، ومملكة تلمسان التي ضمت إقليم الجزائر وتنس، ومملكة تونس وفصل عنها ببجاية التي كانت محل نزاع دائما بين المملكتين فمرة تتبع مملكة تلمسان ومرة تجدها ضمن مملكتي تونس[2].

---

(1) ـ حمدى عبد المنعم حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية للنشر، 1997م، ص348.

ـ سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس، دارس النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1405هـ، 1985 م، ص 15.

(2) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 16.

المبحث الثالث: تضاريس بلاد المغرب

تسعفنا معرفة تضاريس بلاد المغرب العربي في معرفة التربة النفوذة من التربة الرملية وتوزيع الثروة المعدنية في بلاد المغرب وأماكنتو اجدها في طبقات الأرض.

ومن المعلوم أن بلاد المغرب قطر واحد مميز بين الأقطار[1]، الذي يبدأ من خليج سرت حتى المحيط الأطلسي وبأقاليمها المختلفة، وحدة جغرافية مميزة عن باقي أجزاء القارة الإفريقية.

لذلك نجد تباينا ملحوظا بين بعض الأقاليم الساحلية والداخلية، وجاء في كتاب الاستبصار[2]، ذكر المناطق الساحلية وما فيها من تنوع في التضاريس، هذه الأخيرة التي حملت في ثناياها معادن من مختلف الأصناف، إضافة إلى أهمية المنطقة في تنمية الاقتصاد، ثم ذكر المناطق الصحراوية الداخلية، وأهم القمم والهضاب وقيمة السهول الداخلية التي جادت بأفضل أنواع المنتجات الفلاحية إلى جانب أنواع التربة وتشكل المعادن النفسية[3].

وقربها من الآبار والواحات والأنهار التي تساعد ف تنقية هذه المعادن، ومن المعلوم أن التضاريس المتعارف عليها بين المؤرخين والجغرافيين بينة لا نقاش فيها، تتمحور جلها في تصنيف الجبال والسهول والهضاب والجزر وذكر الداخلي منها والساحلي[4].

وتختلف هذه التضاريس من منطقة إلى أخرى حسب دوائر العرض والارتفاع وقربها من خط الاستواء وبعدها عنه[5]، وطريق تحرك طبقات الأرض ونوع المناخ وقربها وبعدها عن البحر وكمية التساقط وغير ذلك من الأمور.

---

(1) ـ عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 128.

(2) ـ مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص ص 109، 139 .

(3) ـ المصدر نفسه، ص ص 142، 216 .

(4) ـ ناجي علوش، الوطن العربي الجغرافية الطبيعية والبشرية، مركز دراسات الوحدة العربية للتوزيع، بيروت، 1986 م، ص ص 14، 20، 22، 25 .

(5) ـ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 130.

إن جزيرة المغرب شكلها رباعي الأضلاع متفاوتة الأبعاد بين مياه المحيط والبحر المتوسط ورمال الصحراء، في مساحة 930000 كلم مربع، حيث يتجاوز نصف بلاد البربر ارتفاع 800 م، وهذا يدل على كثرة الجبال وتخللها للمناطق المنخفضة، وهذا يدل على تضارب عنيف بين الجبال والسهول والهضاب[1].

وعليه قسمت تضاريس بلاد المغرب على امتدادها من بر قة إلى طنجة، إلى قسمين أو ما يصطلح عليه بإقليم الساحلي والإقليم الداخلي الصحراوي[2].

أ. الإقليم الساحلي:

وهو الإقليم الممتد على بحر الروم أو البحر الأبيض المتوسط، الذي يمتد من الإسكندرية في الشرق إلى طنجة في الجهة الغربية، ثم يتصل بذلك بحرا مع المحيط الأطلسي ويتصل برا من طنجة إلى منطقة السوس[3].

ويذهب بعض المؤرخين أن الشريط الساحلي لبلاد المغرب هو شريط ممتد على استقامة واحدة من الشرق إلى الغرب[4]، إلا أن التركيبة الداخلية للقشرة الأرضية يلعب دورا كبيرا في تغير تلك النظرة الخاطئة التي توحي باستقامة الشريط الساحلي من الشرق إلى الغرب، فسمك القشرة الخارجية للطبقات الأرض التي تختلف من منطقة إلى أخر، مابين 22 و40كيلو متر توحي باختلاف وتذبذ الشر يط الساحلي المتصل مباشرة بالبحر، التي هي خليط من الحديد، ويصطلح عليها بتكونات النايف nife[5]، ولهذا نلاحظ تباينا كبيرا في توزيع المعادن في بلاد المغرب نظرا إلى الاختلاف في التضاريس.

---

(1) ــ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 8 ،9.

(2) ــ سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج1، ص80.

ـ مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 109 .

(3) ــ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص129.

(4) ــ سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج1، ص 80.

(5) ــ محمد صبري محسوب سليم، الجغرافيا الطبيعية ن دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، 1416 هـ، 1996 م، ص 27،28 .

ويتميز الإقليم الساحلي للبلاد المغرب بساحله الصخري الصلب الذي تتدافع عليه أمواج بحر الأبيض المتوسط وبحر الظلمات، بحيث صعب المهمة على السفن الراسية فيه، إضافة إلى توفر الخلجان التي كانت مربط بين المغرب والأجزاء المقابلة لهم من أندلس ومركز الخلافة، وكانت هذه الخلجان على شكل أنصاف دوائر ومنها خليج وهران ومستغانم وشرشال وتنس[1].

وجعل من المحطات الكبرى نقاط حساسة (برقة، طرابلس، القيروان، سطيف، تاهرت، فاس) مناطق للعبور، تعتمد عليها المناطق الأخر في تنمي اقتصادها[2].

كما يتميز هذا الإقليم بما يسمى بسيف البحر وهي شواطئ صخرية حادة في تمسكها تأخذ نفس اتجاه سلسلة الأطلس التلي الجبال الممتدة من الغرب إلى الشرق، وهذا ما سبقنا ذكره عن سبب عدم رسي السفن في هذا الشريط، خوفا من أن تحمل الرياح القوية السفن إلى ذلك المجمع الصخري.

وقد جاء أيضا عن مميزات هذا الإقليم، هو غناه بثروة حيوانية ونباتية كبيرة ومنها معدن المرجان في مرسى الخرز (القالة) [3]، ومرسى سبتة والذي كان لبني أمية[4]والقل وبونة[5].

وتبلغ مساحة هذه السواحل بين 450 كلم في مراكش و 1200 كلم في الجزائر و 1200 كلم في تونس، ويصل طول الساحل الغربي للمغرب العربي أي على جهة المحيط الأطلسي 3220 كلم من طنجة إلى السواحل الصحراوية[6].

---

(1) ـ محمد عيسي الحريري، المرجع السابق، ص 13.

(2) ـ سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص 81.

(3) ـ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 71.

(4) ـ البكري، المصدر السابق، ص79.

(5) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص290 ،291 .

(6) ـ ناجي علوش، المرجع السابق، ص 21.

كما يتصل طبيعيا الشريط الساحلي بإقليم الأطلس التلي، الذي تتخلله سهول وسلاسل جبلية من الغرب إلى الشرق، باعتبار بلاد المغرب حده الساحلي الغربي المحيط، لذلك تنشأ السلسلة الجبلية من الغرب إلى أن تصل للمنتصف بلاد المغرب.

السهول: وتكون في مساحات مستوية وواسعة بين الساحل والجبال، ولا يوجد فيها مرتفعات أو أماكن شديدة الانحدار، وهي أراضي قليلة التضاريس، والسهول في هذه المنطقة أي الإقليم الساحلي تكون غنية بالثروات المعدنية ومصادر الطاقة مثل سهل وهران الذي جادت بمختلف أنواع الثمار[1]، والتي تتصل طبيعيا بسهول الشلف التي يغذيها نهرها الفياض[2]. إضافة إلى سهول إفريقية المتميزة بسهولة الوصول إليه وقلة المضايق الجبلية المحاذية لها، وكانت تنتظم بشكل جيد حول القيروان[3]، ومنه إلى سهل الجفارة في ليبيا وسهول متيجة وعنابة، وسوسة وصفاقس في تونس وسهل الملوية في مراكش وتبلغ مساحتها 80 كلم وفي ليبيا تصل إلى أزيد من 100 كلم (جفارة) [4].

كما أشار الرحالة والجغرافيون إلى ثراء الساحل بالسهول الخصيبة، والتي أنتجت أنواعا مختلفة للمزارعات، وقد اتفقوا على تسميتها بالفحوص وذكروا فحص[5]، بجاية وغنها بزيت الزيتون، وفحص مليانة وأرشجول والتي كانت تقع في معظمها في سهل خصيب تحوطه المياه من كل جهة[6].

إلى جانب السهول الساحلية تتصل معها السهول الداخلية المكملة للتضاريس بلاد المغرب، والتي تكون متقطعة ومحصورة بين الجبال وتوجد في التل وترتفع عن سطح البحر

(1) ـ عبد القادر حليمي، جغرافية الجزائر الطبيعية والبشرية والاقتصادية، الجزائر، 1968 م، ص 46.

(2) ـ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 20، 21.

(3) ـ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص 7.

(4) ـ ناجي علوش، المرجع السابق، ص 22.

(5) ـ **الفحص:** هو الأرض المبسطة(وهي ما استوى من الأرض وجمعه فحوص) انظر: ابن المنظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، م7، ص 63.

(6) ـ محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه: إحسان عباس، ط2، مطابع هيدلبرغ، بيروت، 1984 م، ص 80.

بـ 400 م، وتتواجد هذه السهول في شرق ملوية، ووسط سطيف واشتهرت برخص سعر فواكهها وثمارها[1]، وهذا يدل أن السهول جادت بمختلف أنواع المنتجات بفضل خصوبة تربتها.

كما ذكر الوزان عن نقاوس التي تميزت في زراعة القمح وبسهلها الخصيب، إضافة إلى سهول تلمسان والذي ذاع صيتها منذ القديم[2]، ومن السهول الداخلية أيضا نجد سهل سيدي بلعباس المغطي بأراضي خصبة، وسهل غريس بشمال معسكر[3]، بإضافة إلى سهول الشرقية في شبرو، والسهول الفسيحة في جبال كيانة، وسهول مسيلة والتي تمتاز بإطلالتها الممتازة[4]

الجبال: إلى جانب السهول يتصل بلاد المغرب طبيعيا بسلاسل جبلي تلية، التي تمتاز بكثرة الالتواء، نتيجة التقلبات العظيمة للطبقات الأرض، والانكسارات والفوانات البركانية التي حصلت في القرون الأول، قادت هذه العوامل إلى تشكل سلاسل جبلية عظمة في بلاد المغرب، وحددت تضاريس ونوع التربة والمناخ والثروات المعدنية[5].

وتنتج السلاسل الجبلية في بلاد المغرب نتيجة تصارع بين طبقات الأرض، وهو ما يسمى تقابل بين الصفائح الأوربية والأسيوية مع الصفيحة الإفريقية، مخلفة بذلك جبال ضخمة في مظهر ارتفاع طبقة على الأخر مغيرة بذلك مظهر الخارجي للأرض[6].

وما يلفت الانتباه عن هذه الجبال هي نظرة الرحالة والجغرافيين الذين كان لك واحد منهم نظرة مميزة عن الأخر في وصفها.

---

(1) ـ محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 318.

(2) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 52.

(3) ـ المصدر نفسه، ج2، ص 10.

(4) ـ عبد الحليم عويس، دولة بنى حماد، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1411 هـ، 1991م، ص91.

(5) ـ ناجي علوش، المرجع السابق، ص 13.

(6) ـ محمد صبري محسوب سليم، المرجع السابق، ص 35، 36.

حيث ذكر صاحب تاج المفرق في تحلية علماء المشرق[1]، في وصفه لطريق بين الجزائر وبجاية، أنه سلك طريق غير مستقيم نال فيها مشقة عظيمة استعان في طريقه بالبهائم وسلك مسالك وعرة في جبال منخرقة في الجو، عبر عنها في بيتين:

سلكت عقابا في طريقي كأنها　　　　صياصي ديوك أو أكف عقاب

وما ذاك إلا أن ذنبي أحاط بي　　　　فكان عقابي في سلوك عقـاب

وهذا يدل على وعورة جبال بلاد المغرب التي تمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، مشكلة حاجز طبيعي الرياح الباردة من الشمال والهواء الساخن من الجنوب، ويلاحظ انقسامها بشكل واضح في بونة شرقا أين تتصل بسهول سيبوس، ويأخذ امتداد بشكل متميز من جبال تلمسان من الغرب وينتهي بجبال سوق أهراس[2].

وبذلك تكون هذه الجبال كتلة صخرية شرقية وغربية، هذه الأخيرة في القسم الغربي من بلاد الجير[3]، وقد ذكر الرحالة هذه الجبال أثناء حديثهم عن تلمسان، وأهم جبالها ولها صلة ببلاد الهنين[4]، وجبل أغبال بالقرب من وهران ومغراوة في مستغانم[5]، وجبل بني بوسعيد في تنس، وعرفه مارمول كاربخال بزاتمة الذي سكنه البربر، وتتميز هذه الجبل بكثرة منتجاتها الفلاحية التي حمل منها إلى مختلف أقطار العالم[6].

ومن المؤكد أن الطريق من تنس إلى المسلية كلها جبال وعرة وشاهق مترابطة في مناطق ومنفصلة نوعا ما في أخر، وبذلك تربط بين غرب البلاد ووسطها، وذلك بشهادة

---

(1) ـ خالد بن عيسى البلوي، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق: الحسن بن محمد السائح، مطبعة فضالة، المغرب، ص ص 28 ، 39.

(2) ـ عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 46، 47.

(3) ـ المرجع نفسه، ص 48.

(4) ـ مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 117.

(5) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص ص 43، 46.

(6) ـ مارمول كربخال، افريقيا، ترجمة: عمر حجي وأخرون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط 1409 هـ، 1989م، ج2، ص 360.

الإدريسي الذي ذكر الجبال من سبتة إلى مناطق الوسط لبلاد المغرب، فذكر جبل المرسى وجبل طنجة، ومدينة قرب التي هي على جبل منيع[1].

وأكد ذلك صاحب تقويم البلدان، أن جبل مديونة يمتد من جنوب حتى يتصل مع جبل درن، الذي يمتد من الشرق إلى الغرب وهي جبال وعرة وتتصل مع جبال يسر في شرقها وجبال الونشريش[2]، وهذه الأخيرة تقع على مسافة ثلاثة أيام جنوب مليانة يسكنها خلق كثير من البربر، وتتصل مع جبل تاهرت وفي شمالها جبال الظهرة وجبال زكار، وشرقها جبال مدغرة بالمغرب[3].

أما الجبال المكونة للكتلة الشرقية، نجدها في جبال المتيجة والتي تضم جبال البليدة وبو زريعة وجبال جرجرة الكلسية[4]، وجبال قبائل في بجاية، قال عنها الوزان أنها جبال وعرة مكسوة بالغابات يعصب على المار اجتيازها لكثرة انحدارها وبرودة شتائها[5].

وجبال ميسون إضافة إلى جبال الزان المسمى غورية، إضافة إلى جبال البابور بشرق جرجرة[6]، وجبال التبطري الموازية للجبال عنابة[7]، إضافة إلى جبال بين سطيف وقسنطينة تدعى جبال إيكجان، وجبال قسنطينة من بجاية حتى عنابة[8].

ويمكن القول هنا عن السلاسل الجبلية التي تنتج تارة عن الإلتواءت وتارة عن انكسار عنيف في طبقات الأرض .

---

(1) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص 528.

(2) ـ عماد الدين أبو الفداء، تقويم البلدان، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، ص 123.

(3) ـ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 385.

(4) ـ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص 22، 24 .

(5) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 51.

ـ مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص376.

(6) ـ شمس الدين ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار)، حققه: عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملك المغربية، الرباط، 1417 هـ، 1997 م،ج1، ص 147، 148.

(7) ـ عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 48.

(8) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 104.

فالإلتواءت تنتج عن تجعدات في القشرة الأرضية مصحوبة بضغط أفقي يأتي من أسفل نحو سطح الأرض، فيحدث الإلتواء في مناطق الرسوبية من القشرة الأرضية، فتخرج لنا جبال حادة تحمل في طبقاتها مختلف الترسبات، التي نجد فيها أنواع مختلفة للمعادن من فحم وذهب وملح[1]وغيرها .

كما نجد هذا النوع في سلاسل أطلس في بلاد المغرب العربي، تمتد في المغرب وتنتهي في تونس وتكون موازية للبحر الأبيض المتوسط، وتعلو ويزداد عرضها كلما اتجهنا من الشرق إلى الغرب، وأعلى قمة بها في مراكش قمة طوبقال 4165 م[2].

وهي معروفة عند العامة بنوعان: جبال الأطلس التلي، وجبال الأطلس الصحراوي، تتخللها سهول وهضاب تجعل من هذا الموقع مركز حصين للإمارات القائمة في المنطقة ومحمية طبيعيا بجبال يصعب اختراقها، مكونة بذلك طبقات روسبية غنية بمعادن مختلفة من ذهب وفضة وحديد ونحاس .

الأنهار: كما تتخلل المنطقة أنهار وأودية تسهل المهمة في استخراج المعدن وتنقيته من الشوائب، ومن هذه البحيرات كانت بحيرات في بنزرت[3]، تأتي من أعالي جبال افريقية والتي استرزق منها خلق عظيم، إضافة إلى نهر في فاس يجري فيه مياه عذبة وأطلق عليه وادي الجوهر لكثرة الثروة المعدنية فيه، ومن الأنهار أيضا نهر أم ربيع الذي يجري بين سلا ومراكش وعلى قرب من معدن الفضة مثل الذي وجد في غوان وركناس[4].

(1) ـ محمد صبرى محسوب سليم، المرجع السابق، ص 50.

(2) ـ ناجي علوش، المرجع السابق، ص 17.

(3) ـ بنزرت: مدينة بتونس كان اسمها اليوناني هيبوزو ريتوس، انظر: أحمد زكي بكر، قاموس في الجغرافية القديمة، مطبعة الكبرى الأميرية، مصر، 1317 هـ، 1899 م، ص29.

(4) ـ أبي عبد الله محمد الزهري، كتاب الجغرافية، حققه: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر، ص ص 108،114، 115 .

ب.الإقليم الداخلي أو الصحراوي:

وهو الإقليم الثاني بعد الإقليم الساحلي، ما يميز هذا الإقليم عن الأول أنه كثر اتساعا، إضافة إلى احتوائه على المنطقة الانتقالية بين الشمال والجنوب، والتي تظهر في شكل هضاب عالي محصورة بين جبال الأطلس التلي والصحراوي، وتبدأ من جبال التندرارة غربا إلى منخفض الحضنة شرقا، وفي الجنوب تظهر هضبة ضخمة عتيقة مغطاة برواسب الحقبة السابقة وتسمى بالميزتا المغربية(1).

وتنخفض السهول كلما اتجهنا شرقا ويتراوح ارتفاعه بين 1200 إلى 800 م، وقد اصطلح على الهضاب بلفظ النجود والسهول، فقد ذكر أن الهضبة الجزائرية المراكشية أرضها النجود أشبه بمثلثقاعدته بين الجزائر ومراكش ورأسه شط الحضنة(2).

لتتصل هذه الشطوط طبيعيا مع سلسلة الظهرية التي تفصل بين تونس التل وتونس السباسب، فالأولة تتصل مع جبال الجزائر وتحيطها السهول شمالا وجنوبا ويشقها وادي مجردة وروافده، وتسمى هذه المناطق بالتلي العلوي، أما تونس السباسب وهي في جنوب سلسلة الظهرية، ما يلاحظ عليها أنها تنتصب بشكل أفقي وتظهر لنا جبال كلسية وعرة(3).

ومن سمات الهضاب في بلاد المغرب العربي، هو أنها هضبة صخرية عارية وصلبة مثل: هضبة الحمادة الحمراء في جنوب طرابلس والتي زاد ارتفاعها عن 100 ألف كلم عن مستوى سطح البحر، إضافة إلى هضبة تادمايت المشهور ودرعة في الجزائر، وهي التي تفصل الكثبان الرملية من الوصول إلى المناطق الساحلية وتكون العرق الذي يستخرج منه الملح والمعادن النفسية، لاختلاطها مع الرمال الخشنة أو الحصى (الصلبوخ) مثل: سرير كلنشيو (4) قرب برقة(5).

---

(1) ـ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 14.

(2) ـ عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص ص50، 52.

(3) ـ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 17.

(4) ـ ناجي علوش، المرجع السابق، ص 15، 16.

(5) ـ محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 91.

ومما سبق ذكره أن الهضبة : هي صخور متصاعدة للسطح الأرض تحمل معها مواد الخام المختلفة ، لذلك تعد الهضاب مصدر مهم لإنتاج الفحم المرتبط بالصخور الكربونية والحديد والألومنيوم ، إضافة إلى احتوائها على البترول والغاز الطبيعي المنتشر بكثافة في هذا القسم الصحراوي للبلاد المغرب[1]

وكما سبق وأشرت أن بلاد المغرب نميز فيها سلسلتين جبليتين (الأطلس التلي والأطلس الصحراوي)، السلسلة الأول صنفتها ضمن الإقليم الساحلي من القسم الأول، والتي تبدأ من جبل طارق وتسمى بجبال الريف التي ترتفع بـ 2200 م عن سطح البحر، وتشكل قوس يبدأ من الرأس الأبيض في تونس وينتهي في جبل طارق المضيق الذي يفصل المغرب عن الأندلس ببضعة أميال[2].

أما السلسلة الأخر وهي الأطلس الصحراوي أو ما يعرف بالأطلس العظمى، طولها نحو 200 كلم وعرضها بين 60 و130 كلم، وتظهر في جبال الأوراس والقصرين ومراكش[3]، وهذا ما جعل هضبة الأطلس التلي في الجهة الغربية، تتخللها جبال الونشريس الوعرة فحجبت الأمطار عن تلك المنطقة وزادت معها درجة الحرارة وأثر ذلك على الإنتاج فأصبحت المنطقة استبس واسعة تمتد من أطلس التلي إلى الجنوب، ومن وادي ملوية إلى نهر شلف، كما حجبت ما خلفها من المناطق واعتبرها المؤرخين أنها بداية الصحراء، ومنها كثرت الواحات والشطوط والعروق[4].

وبرغم من احتواء هذا الإقليم على طابع القحط والجفاف، إلا أنه اشتهر بينابيع المياه والواحات المنتشرة في أغلب المناطق، فكانت القوافل التجارية تمر بمناطق الواحات لتزود

---

(1) ـ محمد صبري محسوب سليم، المرجع السابق، ص 23.

(2) ـ ناجي علوش، المرجع السابق، ص 17.

(3) ـ عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص ص 52، 54.

(4) ـ عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن 6 هـ، دار الشرق، بيروت، 1403 هـ، 1983 م، ص 53 ،54.

بالمياه و أخذ الراحة [1]،ومن هذه الواحات نجد بسكرة وأرجلان، أودغست التي قال عنها ابن حوقل أنها بمدينة لطيفة أشبه ببلاد الله مكة، وهي بين جبلين وهي ذات شعاب[2].

ومن المدن أيضا مدينة غدامس في الجنوب متصلة ببلاد السودان[3]وبلاد التبر (ذهب) ونقارة الذي يحمل منها المعدن إلى بلاد كثيرة.

إن هذه الإطلالة على جغرافية بلاد المغرب تمكننا من معرفة مواضع التي تتواجد فيها مختلف المعادن والتي ساهمت بدورها في إعطاء أهمية لهذه المناطق ودورها في الجوانب السياسية والاقتصادية .

(1) ـ عبد الواحد دنون طه وأخرون، تاريخ المغرب العربي، دار المدار الإسلامي، طرابلس، 2004 م، ص 16، 17.

(2) ـ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 91.

(3) ـ زكرياء ابن محمد بن محمود القزويني ، أثار البلاد وأخبار العباد ، دار بيروت للطباعة ، بيروت ، 1979 م ص 57 ، 58.

الفصل الأول: جغرافية توزيع المعادن في بلاد المغرب الإسلامي

المبحث الأول: المعادن الصلبة

1. معدن الذهب
2. معدن الفضة
3. معدن النحاس
4. معدن الحديد
5. معدن التوتيا (زنك)
6. معدن الرصاص
7. معدن القصدير

المبحث الثاني: الملح والشب

1. الملح
2. الشب

المبحث الثالث: الجواهر النفيسة

1. جوهر اللؤلؤ
   أ. الدرة الكبيرة
   ب. المرجان
2. جوهر الياقوت
3. جوهر الزمرد
4. مجموعة من الجواهر الأخر

تختلف المعادن في التسمية والشكل واللون باختلاف المكان والزمان، ذلك أن الكرة الأرضية بجملتها مختلفة التركيب خلقيا، فمنها صخور وجبال صلبة وطين وتراب، وسباخ يختلط بعضه ببعض، لذلك نجد الأبيض والأصفر والأحمر في ترابها وطينها وحجرها [1].

وقد وصف هذا اختلاف إخوان الصفا في ثلاثة أنواع، تتكون من تراب وطين وسبخة، وتنضج في سنة أو أقل منه، ونجدها كالكبريت في التراب والأملاح في الأسباخ ونجدها كالزجاج في الطين، وهذا الأخير نجد منها العديد في أعماق البحر[2].

وبملاحظة هذا التباين بين المعادن قررت أن أقسمه إلى أربعة مباحث حسب الحاجة العلمية لكل نوع، وموزعة بذلك هذه الأصناف على بلاد المغرب، صنفت المعادن الصلبة وهي سبعة أنواع المعروفة وصنف الثاني للمعدن الملح والشب لقربهما في اللون والمظهر، وصنف للجواهر الثمينة وصنف للمجموعة مختلفة عن سابقيها، واعتمدت في هذا التصنيف على التباين في طبقات الأرض بين طبقة يابسة للمعادن الصلبة وطين ومياه للجواهر أما الأملاح والشبوب فكانت في الأسباخ أو السبخة .

(1) ــأحمد بن عبد الله، إخوان الصفا وخلان الوفا (رسائل إخوان الصفا)، مطبع نخبة الأخبار، بهيندى بازار، 1305هـ، ص 133.

(2) ــ المصدر نفسه ، ص ص 125، 136.

المبحث الأول : المعادن الصلبة

من المعلوم أن المعادن هي سبعة أنواع، يتصدر الذهب والفضة قائمتها، ومصداقا لقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾[1]، وتلحق بها معدن الرصاص والقصدير والحديد والنحاس والتوتياء (الزنك).

وسآتي على ذكر مناطق توزع هذه الثروات الهامة في أرض المغرب، محاولة إعطاء بعض التعريف والمصطلحات.

1 ـ معدن الذهب:

تعريفه: فالرومية أطلقة عليه تسمية خروصون، أما السريانية فسموه دهب وسمته الهندية في قاموس لغاتها سورن وانفردت التركية بلفظ ألطن، والفارسية أسمتها زر أما العربية وهو المهم أطلقت عليه لقب ذهب والنضار[2]، وقال عنها الهمداني أن الذهب هو النضار جمعه أنضر والنضر[3]، للنجد الزبيدي أيضا ينقل عن ابن جني لفظ النضر والنضير كأمير الأنضر فهي تخص الذهب والفضة وتستعمل للذهب أكثر من الفضة[4] .

وللذهب لفظ التبر الذي يقع على الذهب والفضة كما هي وقبل أن تستعمل، أي قبل تصفيتها وتنقيتها من الشوائب، وما يزيد على ذلك أنه يقع على جميع الجواهر الذائبة قبل استعمالها، إلا أنه يبقى من خاصة الذهب حتى بعد تنقيته وا ٍدخال عليه أجسام أخر[5] .

---

(1) ــ سورة آل عمران: الآية 14.

(2) ــ البيروني، الجماهر في معرفة الجواهر ، نسخة الكترونية، ص 137.

(3) ــ أبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني (ت 280 ، 340 هـ)، كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء (الذهب والفضة) ، تحقيق و دارسة : أحمد فؤاد باشا ، مطبعة دار الكتاب والوثائق القومية، القاهرة ، 1430 هـ ، 2009 م ، ص 71.

(4) ــ محمد مرتضى الحسني الزبيدي، تاج العروس، تحقيق: عبد الشار أحمد فراج، مراجعة: لجنة فنية من وزارة الإرشاد والإنباء، الكويت للمطبعة، ج14 ، ص 237 .

(5) ــ أبو الحسن علي بن يوسف الحكيم، الدوحة المشتبكة في ظوابط السكة، تحقيق: حسين مؤنس، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1378هـ، 1958م، م6 ، ص20./ ـ البيروني، المصدر السابق، ص137.

لهذا نجد أن تسميته تبر جاءت من القطع أي أنه يوجد قطع صغيرة وكبيرة كأنه رثاث تذره الرياح، وجاء كأنما ذرى وذرو الريح ما أعنقت به من الحب والدرين وسفى البهمى، والمودود وهو التبار أي الهلاك، وجاء فيه تبره وتتبيرا كسره وأهلكه، التتبير هو التدمير منه جاء معنى وهو الذهب المضروب[1] .

ومنه فإن التبر هو كل ما تخرجه الأرض من معدن، قبل ضربه فإذا تم ضربه فهو ذهب خلص حاله [2] ، إلى جانب التبر ذكر مصطلح العقيان[3]وقال فيه الشاعر:

كمستخلص العقيان جاد محكه وطاب على أحمائه حين يوقد

ومن أسماء الذهب أيضا العسجد وترجع هذه التسمية إلى قبيلة آل محرق بن المنذر من لخم، وكانوا من ملوك الحيرة [4].

وقد تغنى به الناس فيقال أهلك النساء الأحمران ويقصد بهما الذهب والزعفران، وهذا نوع من أنواع الذهب إضافة إلى ذهب ابريز وذهب التربة وهو التبر وذهب الحشر وهذا النوع يحمل جميع المكونات وذهب الكبريت وهو الذهب الأحمر وذهب النبات الذي ينبت في البحر[5] ولعله قصد المرجان، وقد أكد هذه الفكرة الزبيدي حين نقل عن ابن دريد بأن الكبريت الأحمر هو ياقوت أحمر[6]، وأضاف الزهري أن التبر هو العبقر وهو لفظ أطلقه أهل الصحراء من إقليم السوس الأقصى على الذهب [7] .

---

(1) ـ صالح العلي الصالح وأمينة الشيخ سليمان الأحمد، المعجم الصافي في اللغة العربية، المملكة العربية السعودية للنشر، 1401هـ، ص65.

(2) ـ الزبيدي، المصدر السابق، ج10 ، ص276 .

(3) ـ البيروني، المصدر السابق، ص137 .

(4) ـ الهمداني، المصدر السابق، ص71.

(5) ـ أحمد الشرباصى، المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجيل للطبع والنشر، 1401هـ، 1981م، ص ص181، 183.

(6) ـ الزبيدي، المصدر السابق، ج5 ، ص54.

(7) ـ الزهري، المصدر السابق، ص118.

جغرافية توزيع الذهب: نجد مدينة مجانة من أهم المناطق في بلاد المغرب احتواء للمعادن بمختلف أنواعها[1]، إضافة إلى وجود هذا المعدن في الواحات حيث كان يحمل منه مالا يحصى[2]، ولعل هذا يرجع إلى تحرك الرمال بفعل الريح فيظهر الذهب.

وا إذا اقتربنا ناحية الوسط للبلاد المغرب وجدنا ملك تلمسان يسك نقودا ذهبية من الذهب الردئ كالدنانير، وهي عملة خاصة به وكانت تسمى بإيطالية بسلا تشي[3]، وهذا يوحى بأن بأن الملك كان يستعمل مخزون المنطقة لسك عملة خاص به.

كما وجد الحدادون والصائغون بكثرة في مدينة على جبل عظيم اسمها آيت داود وهي تابعة للمملكة مراكش وتبعد عن تاكتست بنحو خمسة عشر ميلا إلى جهة جنوب[4]، وما ميز المدينة هو كثرة اليهود الذين تفنون في الصناعة المعدنية لوفرة هذا الأخير فيها.

وموقع مراكش على شمال أغمات التي تبعد نحو اثني عشر ميلا عنها بناحية الداخلية لبلاد المغرب، جعل من هذه المدينة ذات عظمة كبيرة وعظمت معها تجارتها[5]، فرغم أن المصادر لم تذكر وجود الذهب بالمنطقة إلى أن معظمها تكلم عن تجارتها للذهب.

ولزلنا في الجهة الغربية لبلاد المغرب حيث نجد التعامل الوحيد لمدينة السوس بالسكة الذهبية، ولعل المدينة كانت تجلب هذه الكمية الكبيرة من قرية تييوت التي كان بها ذهبا كثيرا وكانت تتبع مدينة السوس[6]، ويقال أن الأخيرة كانت كورة مدينتها طنجة وا إقليم السوس السوس الأقصى كورة أخرى مدينتها طرقلة من السوس الأقصى إلى السوس الأدنى مسيرة شهرين وبعدها بحر الرمل[7].

---

(1) ـ مجهول، وصف افريقية من كتاب الاستبصار في عجائب الامصار، نسخة مخطوط، ص50 .

(2) ـ المصدر نفسه، ص34.

(3) ـ حسن الوزان، المصدر السابق،ج2 ،ص23.

(4) ـ المصدر نفسه، ج1 ، ص116.

(5) ـ محمد الحميري، المصدر السابق، ص 540، 541.

(6) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص115.

(7) ـ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص281.

كما لمح الوزان إلى مدينة في نواحي السوس تبعد عشرين ميلا عن الأطلس، وهذه المدينة تيدسي حيث بها وجود عدد كبير من الصناع اليهود كانوا بارعون في صناعة الحلي[1]، لنجد أن الزهري أيضا لم يغفل عن هذه المنطقة وقال أن للسوس الأقصى التبر[2].

كما ذكرت منطقة تابعة لإقليم دكالة يقال لها مدينة اشتهرت هذه الأخيرة بحليها المتقن والذي كان يصنع بأجود المعادن وأحسنها[3].

وا ٕذا اتجهنا جنوبا من هذا الإقليم نجد أشهر مدينة في التعامل بالذهب وهي سجلماسة التي تبعد عن فاس بعشرة أيام وهي في جبل درن، وأهلها أغنياء[4]، وبها مدينة بتازرت موقعها على حدود السودان الغربي ولها معدن الذهب، كما وجد أيضا بقرب من زويلة المعروفة بأصفى الذهب[5].

ولم أستطع الخروج من إقليم المغرب الأقصى، حيث لاحظت غنى المناطق بصناعة الحلي وصيغة، فلقد جادت حاضرة تادلا وموقعها من نهر العبيد إلى نهر أم الربيع وتنتهي عند جبال الأطلس بالصناعة المعدنية[6]، وظهرت بها مدينة تفزة التي تقع على سهل فسيح في منحدرات الأطلس، وما يلاحظ على هذه المدينة هو ثراء أهلها وهذا يؤكد تواجد الذهب الذي لا يعرفه إلا اليهود والذين كانوا بمئات في المنطقة، وذكر الوزان[7] عن الزرانكي الذي حكم المدينة وتعجب الأخير من كمية الذهب فيها حين وجد كمية كبيرة منه عند سجناء قام بسجنهم، وحملت هذه الحاضرة مدينتين عظميتين(آيت عياض والأخر آيت عتاب) جعل

---

(1) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص119.

(2) ـ الزهري، المصدر السابق، ص118.

(3) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص153.

(4) ـ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3 ،ص192.

(5) ـ المقدسي، المصدر السابق، ص231 ./ . الاصطخري، المصدر السابق، ص20

(6) ـ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص5.

(7) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 182.

الحرفيين يتفننون في سبك الحلي[1]، ولا نغفل أيضا عن أدوغست التي حركت رمالها وأخرجت أفضل ماعندها من المعادن[2].

ونقصد الشمال فنجد بلاد فاس مدينة عظيمة، تأسست سنة اثنتين وتسعين ومائة (192هـ)، في ولاية إدريس بن إدريس الفاطمي، وهي تبعد عن تلمسان بعشرة أيام[3]، أخذت فاس هذا الاسم من أول يوم قام واحد من الرجال الشيعة بحفر الأسس لبنائها فوجد كمية هائلة من الذهب، وذلك أيام الخليفة هارون الرشيد عام 185هـ في حكم الخلافة العباسية[4].

العباسية[4].

وبالقرب من فاس نجد طنجة مدينة على ساحل البحر بينها وبين سبتة ثلاثون ميلا في البر، وتعرف بطنجة البربرية أو ليلي التي فتح عقبة بن نافع، وطنجة البيضاء وهي أخر بلاد المغرب[5]، وأطلق عليها البرتغال لفظ طنجيرة، فيقال أنها فردوس الأرض نتيجة الجمال الذي بها، فلقد غطى ملكها سقوف البيوت بالذهب والفضة وبنى لها سورا عظيما من البرونز[6]، ولعل حب نقل ألوان المعادن إلى الحقيقة يوحى بأن للملك شيئا من المناجم وعبر عن غنى المدينة بالمعادن بهذه الطريقة.

ونعود إلى المغرب الأوسط والأدنى، فنجد في الشريط الساحلي مدينة بجاية قد وجد بقايا أثرية للمقابر وقصور اكتشفت في منطقة دوسن التي كانت تابعة لها، وهي أثار رومانية تكشف وجود الذهب، حيث يجد صيادين عند نزول المطر قطع ذهبية مرسوم عليها صور أشكال رومانية تدل على الثراء المادي الكبير للمدينة[7].

---

(1) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص184، 185.

(2) ـ أبي عبيد البكري (ت 487هـ)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، مكتبة المثنى للنشر والتوزيع، بغداد، ص ص170، 173.

(3) ـ محمد الحميري، المصدر السابق، ص434، 435.

(4) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص218.

(5) ـ محمد الحميري، المصدر السابق، ص396.

(6) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص314.

(7) ـ المصدر نفسه، ج2، ص141.

ثم نعود إلى البر في بلاد المغرب الأوسط للنجد أن الإدريسي لمح إلى وجود التبر في مدينة نقارة وبلاد نفزاوة، ثم يعود ويذكر مدينة ارقلان والمسيلة التي يخرج منها السكان معدن الذهب، كما استعمله في ضرب السكة[1].

ونبقى في البر ونحن نتجه شرقا لنجد مدينة تبسة بقرب من وادي ملاق بإفريقية، وما يلاحظ على المدينة أن بيوتها تحت الأرض[2]، وهذا ما جعلهم يكتشفون الذهب أثناء بنائهم للبيوت[3]، غير أنه لم أجد موضع أخر ذكرت فيه تواجد الذهب في تبسة.

ونصل إلى بلاد المغرب الأدنى، فنجد صاحب كتاب المؤنس، يصف إقليم إفريقية بأحسن الصفات بين مباني أنيقة ومعادن شريفة[4]، ومن المرجح أن الذهب من بينها، حيث ذكر البلاذري أن كبار وعظماء إفريقية ملكوا من الذهب مخولهم لدفع ثلاثمائة قنطار منه إلى عبد الله بن سعد على أن يترك بلادهم ويكف عنهم[5]، وما يؤكد ذلك عجائب المهدية فقد حكي على قصر العجيب للسلطان الحسن البناء والإتقان، كان بهذا القصر طيقان من الذهب يزن الواحدة أطنان، وذلك أيام الحسن بن علي الثمي بن المنصور الصنهاجي[6].

وذكر صاحب خريدة العجائب عن مدينة في افريقية تقع في أخر شرق للبلاد المغرب يختلط رملها الذهبي بجبالها الخضراء كشف عن معدنها رجل من الصعيد المصري فحمل منه الكثير[7]، ولم تذكر المصادر هذا الموضع فهو أقر ب إلى برقة وهي الأقرب للصعيد.

---

(1) ــ الإدريسي، المصدر السابق، ص ص105، 296.

(2) ــ محمد الحميري، المصدر السابق، ص129، 130.

(3) ــ مجهول، وصف إفريقية من كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص49.

(4) ــ ابن أبي الدينار القيرواني، المصدر السابق، ص16.

(5) ــ أبي العباس أحمد البلاذري، فتوح البلدان، حققه: عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1407هـ، 1987م، ص318.

(6) ــ الإدريسي، المصدر السابق، ص282./ ــ ابن أبي الدينار القيرواني، المصدر السابق، ص24.

(7)ــ سراج الدين أبي حفص عمر بن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، نسخة مخطوط، ص18.

2 ـ معدن الفضة:

تعريف الفضة: وأثناء بحثي عن هذا المعدن وجدت عدة ألفاظ ومصطلحات له، فلقد لقبه الرومان بارجوس، وأطلق عليه السريان سيما أما الفرس فهو سيم وكش في لغة التركية، وقالت عنه الهندية هو روب[1]، أما عند العرب فهو اللجين وأطلق لفظ الصريف على الفضة[2]، قال الزبيدي عن اللجين أنه كزبير وقال هو الفضة لا مكبر له جاء مصفرا كالثريا والكميث[3].

كما نجد نفس اللفظ عند الهمداني في أن كلمة اللجين هي كلمة تخص العرب وهي عاربة ولغة لحمير بضم اللام الأخيرة، وهو اسم الورق ما يقع على الدراهم أي فضة الدراهم[4]، وقد جاء في قوله عز وجل: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾[5].

جغرافية توزيع الفضة: نجده في بلاد السوس، وبالتحديد في مدينة تارودانت هذه الأخيرة تجاور جبال زجندر، وما يلاحظ على هذه المدينة أن أهلها متخصصون في استخراج الفضة بإتقان، ومنها إلى مكناسة التي تبعد عن مراكش بأربع عشرة مرحلة نحو الشرق، فقد وجد بها معدن الفضة، ولم يذكر ماذا كان يفعل به، وبجوارها زجندر على أحد أطراف السوس وبها كذلك معدن الفضة[6].

ونخرج من إقليم السوس نحو إقليم الحاحا، فنجد مدينة تدنست في سهل كبير وكان بها نحو مائة منزل لليهود، وهذا ما ساعدهم في كشف عن وجود الفضة في المنطقة، ودليل ذلك أنهم أهل حرف وصناعة وهذا ما مكنهم من إنشاء دار سكة يضربون للسكان المدينة نقودا فضية، فكانوا يستخرجونها من الأرض في شكل أوقية من الفضة (أونس) والواحد فيه

---

(1) ـ البيروني، المصدر السابق، ص143.

(2) ـ أبو الحكيم المصدر السابق، ص20.

(3) ـ الزبيدي، المصدر السابق، ج1، ص ص 36، 100.

(4) ـ الهمذاني، المصدر السابق، ص72.

(5) ـ سورة الكهف، أية 19.

(6) ـ عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التر اث الإسلامي، ص447.

مائة وستون قطعة نقدية[1]، وبجوار مدينة تدنست كانت مدينة أيت داود والتي برز فيها العنصر اليهودي أيضا وسيطر على صناعة الحلي والصاغة بفضل فضتها[2].

وبقرب من إقليم السوس نجد إقليم فاس وهي على حاضرة البحر وفي أصل تتكون من مدينتين عظيمتين، واحد قديمة والأخر جديد يخللهما المياه من كل جهة[3] وهذه الأخيرة بها دار ضرب السكة خاصة بسك نقود فضية ودكاكين الصاغة، وهذه الدكاكين لا تشتغل بأي شيئا من الفضة ما لم يكن عليه خاتم الملك[4] .

وعندما نتقدم في البر نجد مملكة نوميديا وخاصة ذكر إقليم سجلماسة، فقد كانت تضرب السكة الفضية في قصورا، وأكدها الإدريسي حين قال أن لتازررت معدن الفضة[5].
لنصل إلى أخر مدينة في بلاد المغرب مدينة سلا على نهر سمير ويتصل ببحر المحيط في منطقة بني تاورة، لنجد بن سلا ومراكش قلعة تدعى كابت تاولة وبها معدن الفضة[6].

وا ٕذا اتجهنا جنوبا نجد أول قسم من الأطلس وهو جبل قبيلة إداو عاقل الذي يطل على المحيط الأطلسي غربا، ويمتد شرقا حتى يصل إلى إيغيلينغيغيل، وما يشهد في هذه القبيلة أن بها كمية معتبرة من الفضة، تجعل النساء مثقلات بها، فتجدهم يضعن أقراص ضخمة وخواتم مبهرة وخلاخل مجلجلة من الفضة[7]، توحى بأنهن قد أفرغن دكاكين الصاغة، كما وجد معدن الفضة في مدينة تييوت ولكن بكمية قليلة وهي مدينة تابعة لإقليم السوس[8].

---

(1) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص99.

(2) ـ المصدر نفسه، ج1، ص105.

(3) ـ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص230

(4) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص283.

(5) ـ المصدر نفسه، ج2، ص138./ ـ المقدسي، المصدر السابق، ص231 .

(6) ـ الزهري، المصدر السابق، ص115.

(7) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص110.

(8) ـ المصدر نفسه، ج1، ص114، 115.

وعندما تواصل التقدم في الصحراء تجد مدينة ثرغية المنطقة التي تفصل بلاد المغرب عن الحبشة في القسم الجنوبي للبلاد المغرب، وذكر أن هذه المدينة كان بها معدن الفضة[1].

وا إذا نحن في الصحراء نكون قد جاورنا إقليم الزاب وبها معدن الفضة، وسميت هذه المنطقة ببلاد الجريد من عمال افريقية، وبها مدن كثيرة منها المسيلة ونقاوس وطبنة وبسكرة وتهودة[2]، ونجد مدينة دوسن التابعة له وبها معدن الفضة الذي تم اكتشافه بعد حفريات، وقد وجد عدد كبير من القطع الفضية الثقيلة والمنقوش في هذا الموضع[3].

وعندما نقصد التل بين طرابلس وقابس، نجد فزان [4]، وقد حملت هذه المدينة أيضا معدن الفضة وذكر ذلك في جبلها جوجيس[5].

كما وجد نسبة معتبرة منه في إقليم الحوز التابع للمملكة فاس الذي يمتد من نهر راع شرقا إلى نهاية نهر تيكريكرة غربا، حيث ظهرت منطقة جبال البرانس التي تبعد نحو خمسة عشر ميلا شمال تازا بصناعة الحلي وتظهر في غناء أهل[6].

إضافة إلى اشتراك مدينة تادلا في صناعة الحلي وخاصة في منطقة أيت عتاب، وا إلى جانبها مدينة آيت عياض، فسكنها من النبلاء والفرسان إضافة إلى وجود العنصر اليهودي الذي يحتكر استخراج والصنع وبيع على هذه الصنعة المعدنية[7]، كما وجد معدن الفضة في في مدينة إفريقية، فقد غنم منها الفاتحون بعد أن قصدها عبد الله بن أبي سرح وأعجب من الكمية الكبيرة للمعدن، وأشار إلى المعدن الأبيض وهو اللون الشائع للفضة[8]، ومنها إلى

---

(1) ـ أبي الحسن بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، راجعه: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، 1425هـ، 2005م، ج1، ص128.

(2) ـ محمد الحميري، المصدر السابق، ص281./ ـ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص123، 124.

(3) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص141.

(4) ـ محمد الحميري، المصدر السابق، ص440.

(5) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص112.

(6) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص357.

(7) ـ المصدر نفسه، ج1، ص158.

(8) ـ ابن أبي دينار القيرواني، المصدر السابق، ص ص 16، 24.

مجانة وهي بطريق إفريقية وبينها وبين قسنطينة ثلاث مراحل، وهي كثير الفضة[1]، وقد أكد ذلك البلاذري وحدد الموضع في قلعة يسر والتي فتحها موسى بن نصير[2].

وعلى طول لشريط الساحلي كانت طنجة حاضرة في الساحة إلى جانب فاس، حيث وجد في طنجة أثر عمراني يشهد له التاريخ، حين افتتن ملكها شداد بن عاد بهذه المدينة، فجعل سقوفها من الذهب والفضة[3]، كما ذكر ابن حوقل أن لتيهرت خانات معادن الدواب[4].

3 ــ معدن النحاس:

تعريف النحاس: أطلق الرومان عليه خلقو، وعرفه السريان بنحاسا وقال العرب نحاس والمس[5]، أما الأرمن فقد نعتوه بنحاشا، واشتق العراقيون لفظ نحاسة من القطعة النقدية كالفلس والمليم[6].

كما نجد أن قطعة النحاس يقال لها زلطة وهي تساوي ثلاثين بارة، وزلطة هي لغة التركية وقد كانت شائعة هذه القطع في سوريا ولبنان والعراق[7]، ولعل ذلك يرجع إلى قرب المسافة.

وقد أجمع المفسرون بأن النحاس ما سقط من شرار الصفر أي أثناء طرق ويأخذ منه الحديد حين يطرق بمطرقة، وقال عنه أبي العباس النحاس مثلثة ولكسر عن الفراء وزاده ابن فارس أن النحاس النار ومنه يحمل لونه الأحمر[8].

كما نجد أن البيروني قال أن الإسفيذري هو اسم فارسي معناه النحاس الأبيض ويسمى صفرا وهذا النوع يستعمل في الأواني التي لا تلمسها النار، وأضاف أن البتروي هو النحاس

---

(1) ــ محمد الحميري، المصدر السابق، ص525.

(2) ــ ابن حوقل، المصدر السابق، ص84./ ــ لبلاذري، المصدر السابق، ص319.

(3) ــ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص314.

(4) ــ ابن حوقل، المصدر السابق، ص86.

(5) ــ البيروني، المصدر السابق، ص145.

(6) ــ أحمد الشرباطي، المرجع السابق، ص457.

(7) ــ المرجع نفسه، ص210.

(8) ــ الزبيدي، المصدر السابق، ج16، ص539 .

أحم كسر لونه باسرب الذي يلق عليه أي يضاف له السرب فيغيب لونه الأحمر وهو أشد صلابة من الأول ويستعمل لأواني[1].

جغرافية توزيع النحاس: وفي تحديد جغرافية النحاس وجدت أن أضم له البرونز باعتباره يخرج من النحاس فهو فرع وليس أصل، فهو أقرب إلى صنف التراب والنحاس خاصته، فنجد في مقدمة التوزيع مدينة تبسة وبها ما يوجد بقرطاجنة من عمران، فلقد كانت كثيرة النحاس يظهر لعيان، حيث وجد فيها تماثيل نحاسية لعقارب إضافة للأسدين العظميين اللذان صنع من النحاس[2].

كما وجد هذا المعدن أيضا بين مملكتي تونس وتلمسان، أي في الناحية الصحراوية في الجنوب، حيث يلاحظ على هذه المناطق الصحراوية أن خيامهم كانت تعج بالنحاس، وقال عنهم الوزان أنهم يملكون النحاس في خيامهم أكثر مما يملكه الحضر[3].

فقد وجد النحاس رجلا من عرب بني قرة قصد أقصى بلاد لواتة فوقع على واحة ضبر وهي واحة السراب كما يقال، حيث لا يقع عليها إلا من ظل طريقه فإن أراد أحد الذهاب إليها تاها في الصحراء ولم يعد، حيث وجد هذا الأعرابي ربوة فيها لبن من نحاس الأحمر، فعرف معدنه واستخرج ما يقدر على حمله، ولما أراد أن يعود إلى الربوة لم يستطع وتاه في الصحراء[4]، ولم يعرف أحد موضع هذه الربوة فهي كأسراب تظهر مرة وتختفي أخر.

---

(1) ـ البيروني، المصدر السابق، ص156، 157.

(2) ـ مجهول، وصف افريقية من كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص49.

(3) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص63.

(4) ـ مجهول، وصف افريقية من كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص14، 15/ ـ البكري، المصدر السابق، ص16.
ص16.

كما وجد البرونز في القرويين وهي مدينة في غاية الكبر وتبلغ مساحتها نحو ميل ونصف الميل، حيث شهد في المدينة ثريات برونزية عظيمة تزن الأطنان وهي في غاية الإتقان[1].

وعلى بعد أيام نجد منطقة كتامة التابعة لبلاد افريقية، وقد ذكر البكري أن للمدينة نحاس[2]، ولكن لم يذكر شيئا عن كيفية استغلاله، لعل هذا يرجع إلى انشغال الكتاميين بالفتن.

ثم ننتقل إلى فاس وفي المعلوم أن الأخيرة تحوي من كنوز ما يشهد على عظمتها، وأثناء تفحصي لصناعات لاحظت تواجد عدد كبير للدكاكين وأسواق النحاسين، حيث كان مخصص لهم مكان في الناحية الشرقية للمدينة أمام الجامع الأعظم[3].

كما وجد النحاس في قبيلة إداو عاقل الخاضعة لإقليم الأطلس، وهي على الساحل وما سهل عليها تصدير نحاسها ميناؤها في المحيط الأطلسي[4].

وفي هذا الصدد ذكر صاحب نزهة المشتاق أن بلاد المغرب الأقصى كان يصدر للسودان النحاس وأشار إلى مدينة سلا على المحيط الأطلسي[5].

لنجد مدينة أجد مجاورة لها التي سماها الرومان سيفيطاس وأطلق عليها البرتغال بسوبتة والبربر صارحوها بسبتة، حيث تفنن السكان بصناعة النحاسية[6]، ولعل الوافدون للمدينة كان لهم دور في ظهور البرعات اليدوية للمنطقة.

أما أغمات الواقعة على جبل درن، مدينة قصت عليها الطبيعة فجعلتها صعبة المنال إلا أن هذا لم يمنع سكانها من إخراج النحاس الأحمر وتحريك تجارته[1].

---

(1) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص224.

(2) ـ البكري، المصدر السابق، ص33.

(3) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص234 .

(4) ـ المصدر نفسه،ج1، ص110.

(5) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص18.

(6) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص317.

وندخل نوميديا حيث إقليم إفران وهو الأطلس الصغير بسوس وبها أربعة قصور وتبعد عن نوميديا بنحو ثلاثة أميال، حيث كانت تشتغل بالنحاس بعد أن يتم استخراجه ومعالجته وكان بها عدة مناجم قريبة من الأطلس [2]،كما ذكر الزهري أن بلاد السوس كانت تصدر النحاس إلى إفريقية والمغرب والأندلس وحتى لبلاد الروم، وهو نحاس مصبوغ[3]، وهذا ما يؤكده المراكشي أثناء توزيعه للمعادن بأن السوس بها النحاس الجيد والحسن[4].

ولزلنا في جبل درن أين تقع مدينتين بجانب منطقة أغمات وهما مدينتين داي وتادلة، وبهما نحاس حلو لونه أبيض يطلبه التجار لاختلاطه مع الفضة [5].

وبالعودة إلى الشريط الساحلي تعتبر طنجة ثاني مصدر للمعدن البرونز، وقد سبق وأشرت إلى ما قام به ملكها حين بني سورها من البرونز فجعل منها فردوس على الأرض[6].

وكما سبق وذكر أنفان عن وجود معادن كثيرة في افريقية[7]، ولم تثبت ما هي هذه المعادن ولمح الزهري أن المدين المعلقة في تونس بها سور من النحاس الجيد المتين[8].

ولم يبق في الذكر إلى مملكة مراكش، وفي ناحية الشمالية الغربية لبلاد المغرب وجد النحاس في مدينة جزولة التي تتصل غربا بجبل سوس ايلد شمالا بجبال الأطلس، حيث وجدت كمية كبيرة من النحاس وكان يصنع منه أنواع مختلفة للأواني وتحمل إلى كل البلدان[9]، وقد أكدها الزهري بأنها توجد في جبل درن[10].

4 ـ معدن الحديد:

---

(1) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص232.
(2) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص117.
(3) ـ الزهري، المصدر السابق، ص117.
(4) ـ المراكشي، المصدر السابق، ص448.
(5) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص241.
(6) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص314.
(7) ـ ابن أبي الدينار القيرواني، المصدر السابق، ص16.
(8) ـ الزهري، المصدر السابق، ص108.
(9) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص144.
(10) ـ الزهري، المصدر السابق، ص116.

تعريف الحديد: الحديد المعروف هو الجوهر وسمى حديد لأنه منيع القطع ومنها جاء الحدائد والحديدات، وقال الأحمر الحديد هو نعت الخيل، وهن يعلكن حدائدهن أي أثناء اشترار الحيوان لسرجه وحديدته، والحداد هو الذي يشتغل بالحديد أي يتخذه حرفة، ومجازه السجان لأنه يمنعه من الخروج عن قالبه[1]، ويقال للسكة التي تطبع النقود حديدة[2].

ومنه نخلص إلى أن الحديد أشد المعادن صلابة، والسبغة هي من الأسلحة التي يعتمد عليها الإنسان في الوقاية تشبه الدرع، لذلك اتخذ الإنسان من الحديد وسيلة لدفاع عن نفسه، وجاء لفظ حد السكين وأحدها إحدادا و حددها أي استحدها ومسحها بحجر أو مبرد[3].

ومنه نميز نوعين من الحديد أحدهما لين ويسمى النرماهن والأخر حديد صلب ويسمى الشابرقان، كما يخرج من الحديد اللين نوع أخر سائل حين يعرض للإذابة ويسمى دوصا ويكون بذلك قد تخلص من الحجارة، وسمى سبقه الحديد في الجريان وهو يعرف بالحديد الأنثى ويخلص اللين مع الفضة أثناء تصنيعها ولونه أبيض، أما الحديد الصلب الشابرقان فهو نوع ذكري لذلك يستمع في صنع السيوف والخناجر، وقال فيه العجاج:

قد أحدثت رومية القيون   أبيض من دماء الحديد الجون[4]

جغرافية توزيع الحديد:

وتعتبر مملكة مراكش مصب هذه الثروة، فبهذه المدينة قصر الملك بني عبد المؤمن[5]، وكان خاضع لمملكة مراكش إقليم الحاحا في الجنوب الغربي للمغرب الأقصى وظهر بهذا الإقليم الصناعات الحديدية، حيث سيطر اليهود على هذه الحرف، ففي مدينة تدنست كان بها نحو مائة منزل يهودي اشتغلوا بعضهم في الإسكافية وحدادة وخياطة وصاغة، كما وجد الحديد في مدينة أديكيس وسيطر العنصر اليهودي في هذه المدينة أيضا

---

(1) ـ الزبيدي، المصدر السابق، ج8، ص8، 9.

(2) ـ أحمد الشرباصي، المرجع السابق، ص110.

(3) ـ الزبيدي، المصدر السابق، ج8، ص9./ ـ البيروني، المصدر السابق، ص146.

(4) ـ البيروني، المصدر نفسه، ص147، 148.

(5) ـ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص94.

على الأسواق الحرف الحديدية، في حين وجد هذا المعدن أيضا في مدينتي أيت داود وا ٳداو عاقل وحدد مركزه في جبل دمنسرة الذي يصل الإقليمين من الشرق على مسافة نحو خمسين ميلا إلى جبل نفيفة في ناحية مراكش، وكان هذا الجبل ممر لتجار[1] .

وبين سلا ومراكش في ساحل البحر يوجد موضع إبستار وبه معدن الحديد ولا يقصد هذا الموضع إلا لستخراج الحديد منه[2]، أي أنه ليس مكان مأهولا بالناس وربما قصد بالموضع مراكش لكثرة مناجم الحديد بها، وسلا هي أخر بلاد المغرب من جهة المحيط بينها وبين مراكش على البحر تسع مراحل ولها أسواق نافعة بمعدن الحديد[3].

وفي مملكة فاس يقع إقليم كرط غرب نهر ملوية وينتهي جنوبا في جبال الواقعة على ثخوم صحراء نوميديا مطلة شمالا على البحر المتوسط، وتعتبر مدينة مليلة أكبر المدن فيها الحديد هذا ما جعلها تنال مكانة[4]، واسعة بفضل توسيع تجارتها للحديد.

وبجانبها مدينة أمجاو فوق جبل وعر عالي يبعد عن الساحل بنحو ستة أميال وهذا الجبال فيه عدد كبير من مناجم الحديد ويعمل فيه خلق كثير من قرى ومداشر المجاورة لأمجاو، هذا الجبل يتصل به جبل بني سعيد الذي يتقاسمه عدة قبائل وكانت كلها غنية بمعدن الحديد[5].

ومن مدن الجنوب أيضا مدينة زويلة وفزان التي جمع بينهم جبل طنطنة، ذلك الجبل الكبير الذي يمتد من الشرق إلى الغرب وفي أسفله كان منجم الحديد الصلب والجيد[6]، حيث حيث ظهر تبادل هذا المعدن بين هذه الجبال بمنتجات أخر، فنجد مبادلات بالخيل والزيت في مقابل معدن الحديد، وقد تمت هذه المبادلة في جبل وردان لكثرة مناجمه الحديدية على

---

(1) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص ص97، 111.

(2) ـ أبي الحسن علي ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، حققه: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970م، ص138./ ـ المراكشي، المصدر السابق، ص448.

(3) ـ محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص319.

(4) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص340.

(5) ـ المصدر نفسه، ج1، ص343، 344.

(6) ـ أبي الفداء، المصدر السابق، ص127./ ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص116.

عكس جبل بني يستيتن التابع لإقليم الحوز، والذي يوجد به جبل واحد لإنتاج هذا المعدن وأهل كرط يعملون كلهم في مناجم الحديد[1].

وفي الساحل نجد مدينة بجاية على ضفة البحر متصلة بجبال أمسيول، وبها معدن الحديد الطيب وعلى نحو ميل منها نهر يأتيها من جهة المغرب، هذا النهر عظيم تدخله السفن لتحمل الحديد إلى مرسى وتصنع به سفن أخر وتصدر الباقي[2].

ومنه ونحن على الساحل وجدت مدينة صغيرة في تلمسان تبعد عن العاصمة بنحو خمسة عشر ميلا وهي مدينة تفسرة هذه المدينة بها عدد لا يحصى من الحدادين الذين أتقنوا هذه الحرف بعد أن اشتغلوا في مناجم الحديد وأخرجوا كميات كبيرة له[3].

وفي طريق بين افريقية وتاهرت وفاس كانت مدينة مجانة التي وجدت بها كل المعادن تقريبا، فقد استخدمت معدن الحديد في تطوير مدينها وشاع عن المدينة أنها أغنى المدن وأبهاها وذلك لكثرة مناجمهم وصناعتها[4].

وفي مقابل عدوة البر نجد جبال إقليم الحاحا متصلة بجبال السوس، ما يلاحظ على هذه الجبال أنها تتدوال قطع حديدية تزن الواحدة منها وزن الأوقية وهو 28غراما وربع غرام تقريبا وتسمى(الكطريني)[5]، وهذا يوحي بأن التقارب الجغرافي بين الأقاليم جعل من مملكة مراكش المملكة الحديدية المسيطرة على بلاد المغرب الأقصى بفضل العنصر اليهودي.

كما وجد في إقليم سلجماسة وبالذات بمدينة بني بصري الواقعة على سفح جبال الأطلس، فكان سكانها يشتغلون بهذه المناجم التي تزود سجلماسة بكمية كبيرة من الحديد[6]،

---

(1) ــ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص ص346، 359.

(2) ــ الإدريسي، المصدر السابق، ص260./ ــ محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص80، 81.

(3) ــ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص24.

(4) ــ ابن حوقل، المصدر السابق، ص84.

(5) ــ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص115.

الحديد[1]، وباتصالها الجغرافي للمدينة أغمات تمكن أهل القرية من معرفة الحديد وقيمته وتجارة به للبلاد السودان خاصة[2].

أما بونة هي مدينة ببلاد افريقية مبنية على ساحل ذات جبال عالية وتسمى بلاد العناب لكثرة عنبها وقريبة لتونس أكثر من قربها لتلمسان تحتكر عنابة هذا المعدن في جبل يدوغ[3].

لتحاول مدينة فاس الظهور من جديد من خلال منجم الحديد لمدينة أدندن، وهي مدينة صغيرة تبعد عن الأطلس بنحو خمسة عشر ميلا، فقد كشفت المياه التي تجري بين الصخور عن معدن الحديد نتيجة تأكل الصخور، لتستغل المدينة المجاورة لها تكبيث وهي على ضفة نهر أم الربيع في طريق تادلا إلى فاس، حيث عمد سكانها إلى صناعات الحديدية[4]، وهذا التمكن الكبير على الإنتاج يرجع إلى القرب الجغرافي للمدنتين.

أما مدينة الأربس فلم تغب أيضا عن الساحة حيث وجد فيها الحديد، وقد ضمها ابن حوقل للقيروان فهي تقع بين الجلول والقيروان لكنها أقرب للأخيرة، ومعدنها أكثر جودة ونقاء وصلابة، وكان يستخرج من غرب المدينة في جبال متداخلة[5].

ومن الأربس إلى كتامة مسافة أيام، فقد ذكر البكري وجود معدن الحديد فيها وهي قر ب إفريقية[6]، ولعل هذا ما جعل الأخيرة تستغله في صناعة السفن، كما وجد الحديد في هنشير هنشير والونزة في العهد الصنهاجي من ناحية مجانة المطاحن[7].

---

(1) ـ المصدر نفسه، ج2، ص132.

(2) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص232 .

(3) ـ المصدر نفسه، ص291./ـ محمد عبد المنعم الحميري، الصدر السابق، ص115./ ـ ابن حوقل، المصدر السابق، ص77. / ــ المقدسي، المصدر السابق، ص226.

(4) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص199، 200.

(5) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص292./ ـ ابن حوقل، المصدر السابق، ص86.

(6) ـ البكري، المصدر السابق، ص33.

(7) ـ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص254.

وا إذا تحدثنا عن الاستغلال نجد أحد أمناء الخليفة عبد المومن يستغل منجم الحديد في بناء مدينة على ضفة نهر أبي رقراق، وهي مدينة عوام وتقع على بعد عشرة أميال من الأطلس[1]، وهذا يؤكد لنا غني مدينة العوام بمعدن الحديد خاصة.

5 ـ معدن التوتيا (الزنك):

تعريف الزنك: هو عنصر فلزى أبيض[2]، وكلمة التوتياء من التوت الفرصاد[3]، يستخرج التوتياء حين يوضع في قدر من الخزف ويوقد تحته النار فيرتفع التوتياء من النحاس، فيأخذ الزنك ويبقى في القعر نحاسا أحمرا ثم يسود الأخير أثناء إطراقه[4] أي العمل عليه، أما هذا هذا النوع من الزنك فهو توتيا زائدة أخرجت من دخان على عكس الزنك الأصلي.

تحديد جغرافية الزنك:

ما يلاحظ على هذا المعدن أنه لم يذكر بذلك الكم الذي ذكر به الذهب والفضة، حيث ذكر الوزان أن هذا المعدن يوجد في بلاد المغرب الأوسط، وهذا القسم كان تحت إمارة مملكة تلمسان، وذكر جبل الونشريس وهو جبل شاهق يصعب للمرء التنقل فيه، ومما سهل عليهم استخراج الزنك من الجبل هو تربته الجيدة التي تفيض بالمياه[5]، فلو كانت يابسة حجرية لكان الأمر صعب على منقبيه.

إضافة إلى وجود التوتيا في بلاد السوس، وكانت المدينة تستعمله لصبغ النحاس الأحمر كما سبق الإشارة له، وجعله نحاسا أصفر[6]، وكان هذا الأخير يموه به في صناعة الحلي لنساء على أنه ذهب لكثرة التشابه بينهما.

---

(1) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص ص203، 240..

(2) ـ شوقي ضيف، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق العربية للنشر، 1425هـ، 2004م، ص403.

(3) ـ صالح الحلي الصالح، المرجع السابق، ص74.

(4) ـ البيروني، المصدر السابق، ص155.

(5) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص45.

(6) ـ المراكشي، المصدر السابق، ص448.

6 ـ معدن الرصاص:

تعريفه: رصه يرصه رصا أي ألصق بعضه ببعض ومنه قوله سبحانه وتعالى﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[1].

والرصاص مثلث وهو يجود في القلعى والقصدير ومن خواصه: إن طرح يسير منه في قدر لم ينضح لحمها أبد[2]، أي هو سير السيلان إن عرض للحرارة.

والكُحل هو المال الكثير كما يعتبر الإثمد كالكحال وهو الذي يوضع في الطين وكحل ما يكتحل به في العين[3]، وهو فحم الرصاص أما الكبريت هو من الحجارة الموقد بها، والياقوت الأحمر والذهب[4].

والبرود كحل تبرد به العين من الحر، وبرد الحديد بالمبرد يبرده[5]، وقد يتساءل القارئ لماذا أدخلت الكبريت والبارود والكحل في معدن الرصاص؟ لأن هذه المعادن تم العثور عليها في مناجم الرصاص، وكانت تنتج عند زيادة الحرارة والرطوبة، لهذا صنفتها مع الرصاص.

جغرافية توزيع الرصاص:

نجد هذا المعدن بجاية وفي موضع تحت جبل الأوراس وما يلاحظ على أن المدينة استغلت المعدن في بناء قبور، حيث وجد قبر لصاحب إفريقية مرصوص بالرصاص الأسود[6].

كما وجد في صحراء نوميديا وبضبط في مدينة صغيرة تدعى القصير والتي كانت تبعد نحو عشرين ميلا من الأطلس وكان بها معدن الرصاص والكحل وحمل منه الناس إلى فاس[7].

---

(1) ـ سورة الصف، الأية 4.

(2) ـ مجد الدين الفيروز ابادي (ت 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب التراث إشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة للنشر، 1426هـ، 2005م، ص621./ـ الزبيدي، المصدر السابق، ج17، ص597.

(3) ـ الفيروز ابادي، المصدر نفسه، ص1052./ ـ صالح العلي الصلح، المرجع السابق، ص559.

(4) ـ المصدر نفسه، ص158./ ـ المرجع نفسه، ص555.

(5) ـ صالح العلي الصالح، المرجع نفسه، ص ص 35، 204.

(6) ـ مجهول، وصف افريقية من كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص51.

(7) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص131.

وذكر الوزان أن الكحل ينشاء في مناجم الرصاص، ويقوم باستخراجه بإضافة الكبريت على الرصاص فيظهر الكحل، ويوجد بكثرة في جبل الأطلس ونوميديا وفاس[1].

وما ذكر ابن حوقل أن بالمغرب الأدنى عمال يحملون الكحل ليلا ونهارا[2]، وهذا يدل على أن طرابلس كانت تحوي الرصاص بعدما وجد الكحل، وقد أكد المراكشي ذلك حين تكلم عن مدينة بين برقة وطرابلس تسمى حصن طلميثة وكان بها معدن الكبريت[3]، ولعل هذا ما ما جعل السكان يخلطون الرصاص والكبريت ليخرجوا الكحل.

وكانت القيروان أعظم مدينة بالمغرب وأكثرها تجارة إلى جانب رقادة التي كان سلطان الأغالبي يأخذ من سكانها الرصاص وينقله إلى القيروان ليتاجر به نحو المشرق وبلاد السودان[4]، ولعلها المادة الوحيدة التي يخشاها الحكام لاتصالها بسلاح فإذا سيطر عليها العامة قاموا بثورات.

ولهذا نجد أن الرصاص والبارود دائما متتابعان، حيث وجد الاثنين في سجلماسة وقد استخدمه الناس في حروبهم[5]، فقد شهد الدولة الحمادية في بلاد المغرب الأوسط هذا المعدن وعرفت قميته، وذلك في مدينتها مجانة التي تبعد عن متوسة على نحو 12ميلا من

---

(1) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص280.

(2) ـ ابن حوقل، المصدر السابق، ص71.

(3) ـ المركشي، المصدر السابق، ص433.

(4) ـ ابن حوقل، المصدر السابق، ص94، 95.

(5) ـ أبو العباس أحمد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب للنشر، الدار البيضاء، 1954م، ج2، ص36.

بجاية [1]، فقد استغل الصنهاجيين منجم الرصاص الواقع على بعد ثلاث كيلو متر جنوب تونس في حروبها[2]،وذلك بتزود بالبارود والرصاص .

7 ـ معدن القصدير:

ما يمكن القول على هذا المعدن أنه غاب عن الساحة، ولم يذكر لا من حيث التعريف ولا من حيث التوزيع في بلاد المغرب، فلم أجد أي من الرحالة قد تطرق لهذا المعدن لا من قريب ولا من بعيد، ورغم أن قيمته الاقتصادية عالية إلا أنه لم يذكر ولعل هذا يرجع إلى أن أهل المغرب لم يعرفه أو أن سوقه لم تعرف حركية كسابقيه.

فمستحيل أن بلاد المغرب وبكل تلك الشساعة والتداخل بين الجبال وسهول لا يوجد بها القصدير، وما يوكد هذا القول هو ما ذكره ابن خلكان حين ذكر عن قوم قصدوا المهدية وذكر سنة سبع وخمسمائة وقال أنهم غرباء ولعلهم يهود فهم أهل الحرف، فذكر أنهم مثلوا أمام يحي حين طلبهم بصناعة فعرف أنهم أصحاب حرف وأنهم يزيلون من القصدير الصرير حتى يصير لا فرق بينه وبين الفضة، وذكر أن أمير يحي كان يستورد القصدير لاستغلاله في الصناعة[3] وهذا ما يؤكد ندرة المعدن في المنطقة.

---

(1) ـ رشيد بوروبية، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1397هـ، 1977م، ص136./ ـ جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمه: محمد عبد الصمد هيكل، راجعه: مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف للنشر، الإسكندرية، 1999م، ص90.

ـ أحمد عبد الباقي، معالم الحضارة العربية في القرن 3هـ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991م، ص126، 127.

(2) ـ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص254.

(3) ـ أبو العباس شمس الدين ابن خلكان، وفيات الأعيان وأبناء أنباء الزمان، حققه: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج6، ص213.

ـ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص254.

المبحث الثاني: الملح والشب

1 ـ معدن الملح:

تعريفه:المِلح هو ما يطيب به الطعام وبتأنيثه يصبح العباب وتصغيره مليحة، والملاح هو صاحب السفينة، والمِلاحُ هو برد الأرض حين ينزل غيثا[1].

وأملح الماء صار ملحا، والملاح بائعه وصاحبه، وجاء في المعجم الصافي، الملح ما يطيب به الطعام وملحها أكثر ملحها فأفسدها، وتماح الرجل أي تزود بالملح والملاحة هي منبت الملح، والأمِلاحُ هو الأبلق بسود وبياض، ومنها جاء نقاء الملح وبيوضته[2].

وأضاف صاحب المختار الصحاح أنه لا يقال مالح إلا في لغة رديئة، فإذا ملح القدر أي طرف فيه الملح وإذا زاده يقال ملحه أي أفسده، أما المليح فهو الحسن والجيد من الطعم أي مليح الماء (ماءه جيد)، والملحة بوزن السبخة وهي ما يخلط بياض الألوان بسوادها[3].

والملح هي المادة التي يرجع لماء البحر طعمها ويمكن الحصول عليها من طبقات الأرض الملحية أو الملاحات البحرية التي تتكون بعد تبخر الماء[4]، ومنه يمكن القول أن الملح مادة معدنية لها علاقة بالبحر تأخذ منه الملوحة، وينتج لنا الملح لم تجف بحيرة ملحة فيخرج لنا في الشطوط على شكل أبيض وأصفر، ويستعمل للحفاظ على الأغذية من التلف.

جغرافية توزيع الملح:

نجده في بنزرت مدينة بين البحر وتونس بينهما مسيرة يومين، وقد وجد فيها بحيرة مملحة يخرج على سطحها الملح، وبالقرب منها مدينة قرطاجنة التي تحدث عنها شيخ سكن

---

(1) ـ الزبيدي، المصدر السابق، ج7، ص ص136، 145.

(2) ـ صالح العلي الصالح، المرجع السابق، ص234، 235.

(3) ـ زين الدين الحنفي الرازي (ت 666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية للنشر، بيروت، ص263، 264.

(4) ـ شوقي ضيف، المرجع السابق، ص882، 883 .

الأندلس لم سأله موسى بن نصير عن افريقية ذكر ما بها من ملح نتيجة كثرة الأودية المصبة في البحر، ووضح كلامه بقوله أنه عقد وأصبح مقاعد لهم من كثرته[1].

ولعل هذا ما يفسر وجود أجانب (يهود) في تغرة، مدينة صغيرة في تونس فكانت هذه المدينة مغزوة بمناجم الأملاح والتي كان هؤلاء الأجانب هم المسيطرون عليها، حيث كانوا يستخرجون الملح بحفر في الأرض وتغطيتها بأكواخ[2]حتى تجف من الرياح والأمطار.

كما كان للمهدية نصيب في الملح أيضا، ووهي تبعد عن القيروان بستون ميلا، أسسها المهدي على نحر البحر على شكل كفة يد، وبها الوادي المشهور بين أبي يزيد وأبي القاسم وهو وادي الملح[3].

ومنها إلى مدينة قفصة التي بناها شبان من أزلام النمرود بن كنعان الجبار، واكتشف الملح فيها حين أمر أمير المؤمنين أبو يوسف حسين بهدم سورها فوجد فيها هذا الصخر الجليل[4]، وهي تقع بين القيروان وقابس وساعدها قربها من القيروان اكتشاف سبخة ملح في المنستير، وقبل هذا الموضع وجد في طرابلس الملح وفتح تجار افريقية الباب على مصراعيه لتجارة الملح بعد أن وجدوا هذا المعدن يعادل الذهب في قيمته[5].

للملح أنواع الجيد والردئ، وهذا الأخير وجد في قصر العطش بقرب من سرت وجد فيها محفرة للملح وبينهم ثلاث مراحل، وسميت قصر العطش بمنهوش، وقربها موضع يقلب له بئر الغنم وهو على بعد ثلاثون ميلا وبه أيضا سبخة معتبرة للملح ويقال أن ملحها ليس بجودة افريقية [6].

---

(1) ـ مجهول، وصف افريقية من كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص15./ ـ ابن أبي دينار القيرواني، المصدر السابق، ص20./ ـ البكري، المصدر السابق، ص42.

(2) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص108.

(3) ـ البكري، المصدر السابق، ص29 .

(4) ـ مجهول، وصف افريقية من كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص38 .

(5) ـ البكري، المصدر السابق، ص ص8، 36، 40 .

(6) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص314، 315 .

ونتقدم قليلا للوسط المغرب فنجد جبل دادس، هذا الجبل يمتد غربا عند مغراب، وجبل أدخسان وجنوب في سهول تدغة وطوله نحو ثمانين ميلا، أهل المنطقة سكنوا الكهوف، حيث وجدوا الكثير من الملح الذي كانت تتغذى دوابهم عليه[1].

ومن بلاد الجريد نجد بلاد نفزاوة وبها قرية ايتمليمن كانت حسنة المظهر وهي أرض سوابخ، وتقع هذه القرية بين نفزاوة وقسطيلية وكانت تصدر ملحها إلى مصر[2].

كما ذكر المقدسي أن في شمال افريقية واد لعود إلى طبرقة وهو مالح، حيث يمر بين جبال ويصب في البحر [3]، ولعل هذا ما جعل سكان المنطقة يسيطرون على الوادي.

ومن البحر المتوسط إلى المحيط الأطلسي، وجد الملح في مدينة تفتنة المطلة على المحيط، وهي تبعد نحو أربعين ميلا عن مدينة ايغيلينغيغيل[4]، حيث خضعت هذه الأخيرة إلى إقليم الحاحا في المغرب الأقصى، كما وجد في نول لمطة على تخوم الصحراء محاذي لبلاد النزجي[5]، بما أننا في الصحراء تظهر لنا أودغست المدينة المحاذية لإقليم السوس الأقصى، فنجد بها الملح وهو على نحر بحر المحيط وكان يحمل منه إلى السودان[6].

كما ذكر الوزان رداءة ملح نوميديا وقال فيها الجيد والحسن، لكن الأخير أكثر من سابقيه ومنها الرمادي والأبيض والأحمر[7]، ومنها إلى أوجلة فيها ثلاث عيون وهي في الصحراء الوسط مجاورة لنوميديا، وكانت هذه العيون الثلاثة مالحة تجمع في سبخة فتكون ملح ، فعين ملح أبيض وأخر ملحها أحمر والثالثة أصفر وهذه الأخيرة هو المستعمل في

---

(1) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص234 .

(2) ـ مجهول، وصف افريقية من كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص45 .

(3) ـ المقدسي، المصدر السابق، ص226 .

(4) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص108، 109 .

(5) ـ مجهول، وصف افريقية من كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص213.

(6) ـ ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص91، 98.

(7) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص280.

مصر وبرقة[1]، واجتماع هذه الأعين الثلاثة بألوان مختلفة يعطى للواحة طابع خاصة من الجمال.

ومن واحة إلى واحة أخر نجد بسكرة، وقد سيطر على جبلها عبيد الله الشيعي، وهذا الجبل فيه الملح واستخدمه في طعمه[2]، كما ذكر الإدرايسي ملح سلجماسة وحب الناس لطعمه[3].

ونخرج من أخر واحات سلجماسة إلى الشمال لنرى دكاكين الملح المنظمة في فاس، والتي كان أهلها يتاجرون بها بجملة ويقوم أصحاب الدكاكين ببيعها بتقسيط[4].

2 ـ معدن الشب:

تعريفه: هو الحجارة التي يتخذ منها الزاح، وهو أبيض له بصيص شديد قال فيه الشاعر:

ألا ليت عمى يوم فرق بينا   سقى السم ممزوجا بشب يماني [5].

وذكر الشبه بفتحتين من الجواهر: وهو ما يشبه الذهب في لونه أي شب لونه أصفر[6] والشب الإيقاد كالشبوب، وارتفاع كل شيء وحجارة الزاج[7].

والشب: الشاب وهو ملح متبلر، وهو اسم كيميائي لشب فيكون من كبريتات الألمنيوم والبوتاسيوم، ويطلق على أشباه الملح (مج) [8].

(1) ـ البكري، المصدر السابق، ص15.

(2) ـ البكري، المصدر نفسه، ص52.

(3) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص137.

(4) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص234.

(5) ـ الزبيدي، المصدر السابق، ج3، ص94، 95 .

(6) ـ أحمد الشرباصى، المرجع السابق، ص235 .

(7) ـ الفيروز ابادي، المصدر السابق، ص99 .

(8) ـ صالح العالي صالح، المرجع السابق، ص286 ./ـ زين الدين الحنفي، المرجع السابق، ص138.

جغرافية توزيع الشب:

لم يكن هذا المعدن بذلك الانتشار الذي شهده الملح، ففي بلاد المغرب الأقصى لم نجد الشب إلى في السوس الأقصى، والذي كان يخرج به إلى افريقية وبلاد الأندلس[1]، كما ذكر ابن حوقل أن دخل سرت أفضل من دخل افريقية وأوجلة وذلك بفضل المراكب المحملة لشب السرتي[2]، كما وجد بكمية معتبرة في أريش، أين استغلته مدينة أوجلة في صناعة أنواع جيدة من الزاج[3]، ولم يذكر كيف كان يصنع هذا الزاج ولا كيف يستخرج الشب ؟ ، وكل ما ذكر أن المنطقة كانت تصدره فقط.

(1) ـ الزهري، المصدر السابق، ص117.

(2) ـ ابن حوقل، المصدر السابق، ص71.

(3) ـ البكري، المصدر السابق، ص15 .

المبحث الثالث: الجواهر النفيسة

الجواهر في أصل حسب صاحب الجماهر ثلاثة أنواع، وهي صنف للياقوت وصنف للزمرد وصنف للؤلؤ[1]، ولكل صنف منها أنواع أخر وسآتي على ذكرها وحسب هذا التصنيف.

1- جوهر اللؤلؤ:

تعريفه: هو الدر ويتكون في الأصداف في أعماق البحار، ونتيجة للرواسب والجمود الصلب لتخرج لن للؤلؤة مستديرة في بعض الحيوانات الرخوية، ولؤلؤة جمع لآلئ وهي النجوم أو البرق، واللآء هو بائع اللؤلؤ، واللآل هو اللاء، واللالاء ضوء السراج ونحوه[2].

وقال عنه ابن الأفكاني أن اللؤلؤ هو الحيوان الذي يلد الجوهر وبعض يكون في الأصداف، وهو دقيق القوائم، لزج الملمس ينتفخ بإرادته، ويتنقل في أسراب[3].

واللؤلؤ لا نظير له إلا بؤبؤ وجؤجؤ وسؤسؤ ودؤدؤ والدر سميت عليه لحسن ضوئها اللامع وتأخذ لونها من البحر وقال فيه شاعر: درة من عقائل البحر بكر لم تخذها مثاقب اللأل [4].

واللؤلؤ جنس يشتمل على نوعين: من الدرة كبيرة والأخر صغيرة قصد بها المرجان، واللؤلؤ يجمعهما، ومنه نقول أن اللؤلؤ أشد صلابة من الياقوت ون أسماء اللآلئ: الدرة والمرجانة والنطفة والتومة والنزامية واللطيمية والصدقية والسفانة والجمانة والونية والهيجمانة والخريدة والحوصة والثعثعة والخصل[5]، وما يهمنا من هذه الأنواع هو ما ذكره الرحالة عن جواهر.

---

(1) ـ البيروني، المصدر السابق، ص47.

(2) ـ شوقي ضيف، المرجع السابق، ص810.

(3) ـ محمد إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري(ابن الأكفاني) [ت 749هـ]، نخب الذخائر في أحوال الجواهر، دار صادرت للنشر، بيروت، 1939م، ص26، 27.

(4) ـ الزبيدي، المصدر السابق، ج1، ص411 .

(5) ـ البيروني، المصدر السابق، ص60.

جغرافية توزيع اللؤلؤ:

أ ـ الدر الكبيرة: فلقد اشتهرت فاس بإستخراجها للمعادن الثمينة، فقد ذكر الوزان عن لبسي نسائها لأقراص كبيرة من الذهب المرصعة بحجارة كريمة بديعة[1].

كما وجد اللؤلؤ في هوانف من مدنية بجاية، ونجد هذه المدينة قد خرجت للبحر ومن جهة الشمال وفيها قصور بناها ملوك صنهاجة، وصنعت هذه القصور بأحسن المعادن من الذهب واللازورد[2]، ولعل هذا الرخاء الاقتصادي يعود إلى كمية اللؤلؤ المستخرجة.

أما كرط إقليم فاس، فقد أخر صيدوا مدينة مليلة صدف اللؤلؤ من البحر، وهي مدينة كبيرة تبعد عن البحر المتوسط بنحو ألفي كانون[3]، كانت هتين المدينتين هما ما ذكرت المصادر عن اللؤلؤ.

ب . المرجان: ذكر الإدريسي أن خير بحرين ألتقي يحملن المرجان الجيد، وهو بحر الأبيض والمحيط الأطلسي، ومنهما تتفرع الأنهار المتداخلة لبلاد المغرب، فحيث يلتقي مرج البحرين يخرج منه برزخ وهذا يقتنى لنا أجود المرجان الحلو[4]، والبرزخ تشبه الشعاب المرجانية.

وفي تعريفه: ذكره القرآن فقال ﴿ اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾، ثم يذكر في نفس السورة: ﴿ ...هُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾[5].

وعرفه الزبيدي: بأنه صغار اللؤلؤ وهو أشد بياضا، ونقل في ذلك عن الأزهري حيث قال لعل لونه الأحمر أخذه من لون الجن، وهو من الألوان الرئيسية ويلقي إقبالا كبيرا في صناعة الحلي بلونه الناري الأحمر، كما له اللون الأبيض والوردي والأسود، وهذه الأخيرة

---

(1) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص252.

(2) ـ مجهول، وصف افريقية من كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص21.

(3) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص341.

(4) ـ المقدسي، المصدر السابق، ص16.

(5) ـ سورة الرحمان، أيتان 22، 58.

عبارة عن مادة عضوية استمدها من أعماق البحار، وأندر أنواع المرجان هو المرجان الدموي، وقال عنه أبو الهيثم أنه البسد ذو اللون الأحمر الذي يلقيه الجن في البحر[1].

ومنه جاءت كلمة المرجان من مرج البحر في قوله تعالى: ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾[2]، وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[3].

وجاءت ملاحظة أخر في رسائل إخوان الصفاء أن اللؤلؤ نوعان (الدر والمرجان) والأخير نباتي والدر حيواني، ومنها ما يتكون في كهوف الجبال وجوف الأحجار وخلال الرمال ومنها ما يكون في البحار[4].

وبذلك فالمرجان صغار اللؤلؤ وبقلة ربعية وذات بهاء عظيم وخطوط مريح متداخل الأغصان أي ملتوية الاعوجاج[5]،ومنه فالمرجان جنس حيواني بحري نباتي، له ثوابت من طائفة المرجانية لها هيكل وكلس أحمر يعد من الأحجار الكريمة، ويكثر المرجان في البحر الأحمر، وأخذ لونه الدموي منه[6]وهذا يعد أغل الأنوا ع وأحسنها.

جغرافية توزيع المرجان: في مقدمتها مدينة طبرقة وهي مدينة على نهر كبير بمحاذة البحر المتوسط، وتدخلها سفن كثيرة حتى تصل باب المدينة، فيها المرجان وبجوارها بنزرت التي يرمى قوم المدينة شباكهم فيخرجون نباتا أحمرا متحجرا ويقال له المرجان، فيكون في قعر البحر لين طري وما أن يلامس الهواء حتى يتحجر ويصير صلب وهو من أجود الأنواع في منطقة الساحل[7].

---

(1) ـ الزبيدي، المصدر السابق، ج36، ص166، 167.

(2) ـ سورة الفرقان، أية 52.

(3) ـ سورة الرحمان، أية 15.

(4) ـ إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، تحقيق: عارف تامر، منشورات عويدات، بيروت، 1415هـ، 1995م، ص222، 223.

(5) ـ الفيروز ابادي، المصدر السابق، ص205 ./ ـ زين الدين الحنفي، المرجع السابق، ص259.
ـ صالح المنعم الصالح، المرجع السابق، ص620.

(6) ـ شوقي ضيف، المرجع السابق، ص861.

(7) ـ مجهول، وصف افريقية من كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص15، 16 .

وبجوار بنزرت نجد مرسى الخرز وهي مدينة صغيرة على نحر الحر المتوسط يخرج منها المرجان الكثير كالذي يوجد بسبتة ويستخرجه العاملين عليه على مدار السنة، حيث يقصد البحر خمسين قارب وكل قارب يحمل حوالي عشرون رجلا، فيغطس البحارة في البحر إلى أن يصلوا إلى الشعاب المرجانية، فيجدون المرجان اللين وهو كنبات بين جبلين عظميين وكان يصطاد بآلات ذوات ذوائب كثيرة فيخرجونه بكل الألوان وما أن يصل إلى السطح ويلمس الهواء حتى يتصلب(1)، كما وجد في المهدية وأطلق عليها صاحب أحسن التقاسيم بالقرن فقال للمهدية يرفع القرن وقصد به المرجان(2).

ومن المهدية إلى مدينة العناب أو بونة، بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط على نحو مائة وعشرين ميلا غربا، حيث كان يمكن للناس أن يخرجونه إلا أن القائم عليها منعهم من هذا(3) ووضع حراس على الشواطئ خاصة أوقات الخاصة للصيد.

ونفس شريط الساحلي نجد مدينة سبتة تخرج المرجان من قرية تدعى بليونس في بحر الزقاق وهو مثل الذي ببنزرت وطبرقة في جودة والاحمرار (4).

وما يزيد في الشك بأن فاس بها المرجان هو نهر الجوهر الذي ينبع بأعلاها بنحو ستة أميال ويصب في البحر المتوسط، ويخرج منه نحو ستين عنصر من الجواهر(5).

---

(1) ـ أبي العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، مطبعة الأميرية للطبع، القاهرة، 1331هـ، 1913م، ج3، ص235. الإدريسي، المصدر السابق، ص290، 291./ـ ابن حوقل، المصدر السابق، ص76./ـ البكري، المصدر السابق، ص55

(2) ـ المقدسي، المصدر السابق، ص239.

(3) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص62./ـ ابن سعيد، المصدر السابق، ص163.

(4) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص529./ ـ وصف افريقي من كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص17./ ـ ابن ابن حوقل، المصدر السابق، ص79./ ـ الوردي، المصدر السابق، ص13.

(5) ـ علي الجزنائي، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، حققه: عبد الوهاب ابن منصور، ط2، مطبعة الملكية، الرباط، الرباط، 1411هـ، 1991م، ص34.

2- جوهر الياقوت:

تعريفه: الياقوت جمع يواقيت، مفرده ياقوتة، وتأنيثه ياقوتين، خضب أحمر في الصفراء يكون في مصل الدم وفي البراز[1]، والياقوت من الأحجار الكريمة وهو أكثر المعادن صلابة بعد الماس، يتكون من أكسيد الألمنيوم الذي يساعده على إظهار لونه الأحمر الشفاف، كما يمكنه من إخراج الألوان المركبة من الأزرق والأصفر ويستعمل للزينة[2].

وكلمة الياقوت هي معربة، فقد سماه الفرس بسبج أسمور أي الدافع للطاعون، أما الهنود سموه بالدم راكك وهو الياقوت الأحمر الشفاف[3].

ومنه يمكن أن نميز له أربعة ألوان، ومنها لون الدم وهو الأحمر وهو أغل ياقوت، والأكهب أو النيل الأزرق، وهذا يحمر في الليل ولا تعود حمرته للظهور في طلوع الشمس[4]. ومن أشباه الياقوت، نجد الياقوت الأحمر ويسمى كركند أي الياقوت الأصم، وهو ضعيفا شفافا سهل الإنكسار، إضافة إلى ياقوت العصفرى الذي يعرف بالسندبا وله شعاع ليس له مثيلا، وياقوت الكريز سهل الإنكسار يشبه الملح، وياقوت البهرمان يشبه الذهب[5].

جغرافية توزيع الياقوت: نجده بطنجة أخر حدود افريقية في المغرب والمسافة بينها وبين القيروان ألف ميل، فإذا حفرت خرائبها وجدت بها أصناف كثيرة للجواهر[6]، كما نجد في إقليم ضيق جدا يبدئ من الأطلس جنوبا ويمتد مسافة مائتين وخمسين ميلا عبر صحراء ليبيا لنجد إقليم درعة الذي يكثر فيه اليهود وخاصة صاغة[7].

---

(1) ـ أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب للنشر، 1429هـ، 2008م، ج4، ص2506 .

(2) ـ شوقي ضيف، المرجع السابق، ص1025.

(3) ـ البيروني، المصدر السابق، ص20.

(4) ـ ابن الأفكاني، المصدر السابق، ص2.

(5) ـ البيروني، المصدر السابق، ص30، 31.

(6) ـ مجهول، وصف افريقية من كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص25 .

(7) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص119.

وكما سبق وأشرت أن فاس بها نهر الجوهر والذي يستخرج منه ستين (60) نوعا، جلها يخرج من جهة الشرق ولها مناظر جميلة ومبهرة[1]، وقد أكد الوزان ذلك حين تحدث عن الحلي في فاس ولباس الناس الأقراص المصنوعة من الذهب والمرصعة بحجارة الكريمة، وفي معاصمهن أساور من الذهب [2]، وفي الغالب الأسوار تأتي كالعقد[3].

وبالقرب من مدينة أجدانية نجد مدينة السورس، بها أزيد من ثلاثمائة قرية وكلها خارجية، وما يلاحظ على رجالها الغنى أما النساء اللواتي يلبسن أحل الحلي وأفخرها من اللؤلؤ والزمرد والياقوت[4]، وهذا يوحي بأن المدينة فيها شيئا من الجوهر.

كما ذكر البكري وجود اللازورد في كتامة، عندما تحدث عن أبو جعفر أحمد أبي خلد الذي ذكر موضع عين كتامة وكان يجلب منه حجر اللازورد وهو من الجواهر الياقوت[5]، وعرفه بأنه الياقوت لأسود كانوا يستعملونه في الأصابع بعد صحنه وبريه ويسمى بالرومية أرميناقون ونسب إليهم وكان يحمل إلى بلاد العرب وهو ممن أرقي اليوقيت[6].

ومن خلال التنقل الجغرافي للبحث عن هذا الجوهر لم نجده منتشر بشكل الذي انتشرت به المعادن الصلبة، ولعل هذه الأخيرة كانت أكثر أهمية من نضيراتها، رغم أن فاس ذكرت بشكل كبير عن توفرها بعدة جواهر من ياقوت ومرجان وزمرد[7]، وقد وصفها أبو زيد زيد في شعره بقوله:

فيها المحاسن فيها الجود واضحة	آثـاره من عـتظيم المجد مقصـودي
تقلدت من يواقيت الجمال ومـــن	معنى الكمال بحسن غير محـــدود

---

(1) ـ علي الجزنائي، المصدر السابق، ص34، 35.

(2) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، 252.

(3) ـ البيروني، المصدر السابق، ص ص20، 24.

(4) ـ مجهول، وصف افريقية من كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص31.

(5) ـ البكري، المصدر السابق، ص33.

(6) ـ البيروني، المصدر السابق، ص115 .

(7) ـ الزهري، المصدر السابق، ص114.

وابـرزت في بـرود تشـتـهي نـظرا كالطرس يبرز حسن الاحرف السود

وأحـمر مثـل فقــاح الـورد ودوقد علا الـزمرذ في القـضبان من عــود

وأصفــر تــبرز الإبـريـز بهجتــه مثل القــلائد فــوق الجـيد من غيــد

والازوردي حــكى نــور البنفســج أو ريحانة أو شمــام الخـد من خـود[1]

فلقد جمعت هذه الأبيات أسماء وألوان الياقوت وأحسنها، وكانت موجودة كلها في بلاد فاس.

3- جوهر الزمرد:

تعريفه: الزمرد والزبرجد اسمان يترادفان وهو معنى واحد، ولقب قيس بن حسان بزبرجد لجماله، الزمرد والزمرذ والزماورد في ورد[2]،زمرد: [جمع]مُ رُدة هي حجر كريم أخضر اللون شديد الخضرة شفاف وهو أصف الجواهر(أهدى إليها خاتما فيه فص من الزمرد)[3]، اسم الزمرد هو في معجم الذال، وتسمى خرزاته قصبات لا ستطاعة ثقبها باللسك وهي تشبه القصبة[4]، والزمرذ بالضمات وشد الراء، الزبرجد معرب[5].

ومنه فالزمرد نبات أخضر مشبع بالخضورة له رونق وا ٍشعاع ولا يشبه السواد ولا صفرة، ولا نمش وليس له عروق، ويخرج من الأبار والرمل الصحراء ويخرجوا منه الذهب[6].

الذهب[6].

جغرافية توزيع الزمرد:

أما مناطق تواجد هذا المعدن في بلاد المغرب فكانت معدومة، ففاس وكما سبق الإشارة إليها أن بها ستون نوعا من الجواهر، وقد أكد ذلك صاحب الدرر الفاخرة كما سبق ذكر قصيدة الجواهر: وأحمر من فقاح الورد ودوقد علا الزمرذ في القضبان من عود [1]

---

(1) ـ عبد لرحمن ابن زيدان، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية للنشر، الرباط، 1356هـ، 1937م، ص20 .

(2) ـ الفيروز ابادي، المصدر السابق، ص286.

(3) ـ أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص996.

(4) ـ البيروني، المصدر السابق، ص95 .

(5) ـ الفيروز ابادي، المصدر السابق، ص333.

(6) ـ ابن افكاني، المصدر السابق، ص48 ./ ـ البيروني، المصدر السابق، ص ص95، 99.

كما وجد هذا المعدن في مدينة باجة وهي بأرض افريقية وبينها وبين تنس يومان وهي مبنية على سفح جبل[2]، كما وجد ببلاد المغرب معادن أخر صنفت على أنها جواهر وأخر معادن صلبة وسائلة، لذلك أخرجت هذه المجموعة في شكل منفردا.

4- مجموعة من المعادن الأخر:

ـ **البلور**: حجر أبيض شفاف وهو نوع من الزجاج[3]، وهو من المها وأصله من الماء[4].

أما في موضع تواجده فقال ابن اكفاني أنه ببلاد المغرب الأقصى[5] ولم يحدد موضعه بذات

ـ **الزجاج**: وهو كلمة معربة حيث أنه مسبوك من الحجر المعروف أو أنه مجموعة من الرمل فإذا تأملته وجدت فيه الأسود والأحمر والأبيض والمشف البلوري[6]، وقد وجد هذا المعدن في برقة شرقا، وذكر بأن هذه المدينة تصنع زجاج ليس له مثيل فكانت لها أواني عجيبة مذهبة صدرت منها لبلاد مصر وجمعت بها أموالا كثيرة[7]، كما وجد هذا المعدن في جبل درن وبضبط في مدينة أغمات، فلقد حمل منه تجار السودان إلى جميع المناطق[8]

ـ ومن المعادن الأخرة نجد الاثمد في مجانة[9]، والزئبق في جبل ارزوا التابع لمدينة وهران في غرب بلاد المغرب الأوسط[10]، كما استخدم علي بن الحسن النفط في حروبه عام 387هـ أينما كان في افريقية[11]، وهذا يدل على أن بلاد المغرب حملت شيئا معتبرا من هذه المعادن رغم أن الحديث عليها لم يطول.

---

(1) ـ عبد الرحمن ابن زيدان، المصدر السابق، ص20.

(2) ـ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص315.

(3) ـ شوقي ضيف، المرجع السابق، ص69.

(4) ـ البيروني، المصدر السابق، ص107 .

(5) ـ ابن اكفاني، المصدر السابق، ص65.

(6) ـ البيروني، المصدر السابق، ص131.

(7) ـ مجهول، وصف افريقية من كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص210.

(8) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص232.

(9) ـ رشيد بوريبة، المرجع السابق، ص136.

(10) ـ محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص232.

(11) ـ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص147.

الفصل الثاني: دور المعادن في اقتصاد المغرب الإسلامي

المبحث الأول: الحرف المعدنية

1. صناعة الحلي
2. صناعة الأسلحة
3. صناعة السفن
4. سك النقود
5. صناعة الأواني

المبحث الثاني: نمو التجارة المعدنية

1. التجارة الداخلية:

أ. تجارة الملح

ب. تجارة المعادن الصلبة

ج. تجارة الجواهر

2. التجارة الخارجية:

أ. تجارة الملح

ب. تجارة المعادن الصلبة والجواهر

المبحث الأول: الحرف المعدنية

من خلال ما سبق دراسته لتوزيع المعادن في بلاد المغرب، تأكد لنا أن هذا الموضع استطاع أن يغطى معظم احتياجاته لصناعات المعدنية، فمنذ القديم استغل الإنسان المغربي هذه الثروة وكون اقتصاده الخاص، فقد كشفت الحفريات الأخيرة على أن المنطقة بها زخم معدني كبيو فقد تم العثور على مـُ خلفات للأواني وحلي من أسوار وغيرها إضافة لأنواع من الأسلحة وأبواب ضخمة حديدية ونقود ذهبية وفضية منقوشة لكل عهد(1)، وهذا يوضح لنا أن أن لكل منطقة طابعها الخاص في الحرف.

وقد قدمت لنا مصادر الرحالة والجغرافية صورة شاملة لتلك الحرف لكنها لم توضح طريقة استخراجها ولا كيف كان يعمل عليها ؟ وترجع بنا تلك المصادر للماضي القريب فتربط معظم الحرف بالعنصر اليهودي الدخيل على بلاد المغرب، إلا أنه يمكن أن ننظر للإنسان المغربي على أنه دون صنعة، إلا أنه كان يهتم بالجانب الديني من فتن وحروب، ولعل هذا ما دفعه للعزوف عن الحرف المعدنية.

فقد ذكر الوزان(2) عن أن في فاس ظاهرة تلفت الانتباه وهي حب الناس لبحث عن الكنوز المدفون منذ أقدم العصور، ووصف هؤلاء الناس بمرضى، خاصة وأنهم أهملوا الصناع وتوجه للبحث عن المخلفات الرمانية الجاهزة.

ومنه لا يمكن حصر الصناعة إلا على العنصر اليهودي فقد جاوره المسلمين الفاتحين وغيرهم من الأجناس التي ساعدت في تكوين شخصية الإنسان البربري، ومن هذه الصناعة:

1- صناعة الحلي:

هذه الأخيرة من أهم الصناعات لتوفر المواد الأولية، وعرفت بسبك المعدن، وذلك بإذابته وخلصه من الخبث ثم إفراغه في قالب، وهذه حرفة السباك أي صائغ ويقوم بتبريد

(1) ـ فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة والتاريخ، ترجمة: يوسف شلب الشام، دار طلاس لترجمة والنشر، 1994م، ص81، 82.

(2) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص254.

هذه السوائل الساخنة في أنابيب مياه وتصل إلى المسبكة أي المكان الذي يصنع فيه الحلي، في شكل كتلة من الذهب أو فضة مصبوبة كقبضان[1]، ولم تذكر لنا المصادر كيفية استخراج المعادن، وكل ما ذكر هو كيفية استخراج المرجان الذي يخرج لجمعه نحو خمسون قاربا، ويحمل كل قارب ما يزيد عن عشرون رجلا، ويتم صيده بآلات ذوات ذوائب كثيرة تصنع من القنب تدار هذه الآلة في أعلى المراكب فتلتف الخيوط على ما قاربها من بنات المرجان فتعلق بالشبك ويتم سحبها إلى القارب[2]، ويقال أن المرجان إذا كان في قعر البحر يكون لين طريا وا ٕذا لمس الهواء تصلب وتحجر[3]، ويستعمل هذا المعدن في صنع الحلي والتزيين.

وقلما يصنع عقد المرجان وحده دون إضافة معادن أخر له، كما نجد من المعادن التي تستخدم في الحلي اللؤلؤ والذي سبق وقسمناه إلى در كبيرة ومرجان.

وقد ذكر ذكر الزهري طريقية استخراجه، وقال [أنه في شهر أفريل (نيسان) يقصد البحارة البحر فيجدونه يطوف فوق المياه فيلتقطونه، وهو أسوء من الأصداف التي تغوص إلى عمق البحر، فبعد أن تسقط الأمطار تثقل تلك الأصداف فتغوص إلى العمق، ويقال أن قطرات الأمطار عي التي تكون الدر، فإذ لم تسقط الأمطار تبقى تلك الأصداف مفتوحة إلى أخر الشهر وما أن يحل شهر ماي حتى تغلق الأصداف وتعود إلى العمق، فيلجأ الصيد إلى الدخول لتابوت من الخشب له قاع واسع ورأس ضيق، وله كمان من الجلد في أجناحه يتعلق بها وعاء من الصوف، فيدخل الرجل فيه ويرمى في البحر فينزل إلى القاع ويلتقط الأصداف ثم يُ سحب إلى الأعلى، أين تقشر الأصداف ويخرج منها اللؤلؤ ذات الدر الكبيرة][4].

---

(1) ـ شوقي ضيف، المرجع السابق، ص415.

(2) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص291./ ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص ص62، 66.

ـ ابن حوقل، المصدر السابق، ص76.

(3) ـ مجهول، وصف افريقية ن كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص17.

(4) ـ الزهري، المصدر السابق، ص16.

ويظهر لنا الحلي من خلال ما جاء عند الوزان الذي حدد القطعة ومكان لبسها، فأطلق على الحلي الذي يلبس في الأذن أقراص وأن الخواتم في الأصبع والأساور في اليدي والخلاخل موضعها في الأقدام والعقد والقلادة تلبس في الرقبة، وأضاف لنا المواضع التي توجد فيها هذه الحرف والتي سبق وأشرت إليها في عنصر توزيع المعادن، ومن بينها مشابك الفضة التي لبستها نساء تلمسان وتونس وأيت داود، والمشبك قطعة من المعدن يمسك بها النساء ثيابهم بأوقية توضع على الكتف وتمنع الثوب من السقوط عن الجسد، وأضاف أن وزن السوار الذي يلبس في اليد يبلغ مائة مثقال(نحو 350 غرام) [1].

وفي تأكيد مكان لبس هذا الحلي، نجد في المعجم الوسيط أن الخلخال يشبه السوار الذي يوضع في معطم غير أن الخلاخل تلبس في الرجل[2]، وقد نهى عن لبسه الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه يحدث صوت أثناء سير المرأة فيجلب النظر.

ومن الحلي العقد أو القلادة وكانت تصنع من القرنفل وتسمى سخابا وسميت عقدا لكثرة العقد فيها تتابع صلاته وأكثر العقود كانت تلبس في اليد وكانت ترصع بالياقوت واللؤلؤ[3]، وقد استعملت هذا الحلي في عدة مناسبات حيث كان يقدمه أهل العريس كهدية للعروس، وذلك بأن العادة تقتضى بأن يـُقدم الحلي من فضة وذهب مرصعا بالأحجار الكريمة إلى جانب الملابس والعطور[4].

أما في صناعة الخواتم فقد كان المرجان يلقى في الخل حتى يصبح لين ويبيض ثم يجعل على جميع الخواتم شمعا، ويكتب عليه ما يشاء أو ينقش فيه رسوم زاهية وذلك بواسطة رأس إبرة حتى ينكشف مكان الشمع، ثم يلقى في الخل ليومين أو أكثر ولم يخرجه ينزع عنه الشمع فيجد موضع الكتابة قد نقش، وما ساعده على ذلك هو تأكل الخل ويبق

(1) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص ص105، 252.

(2) ـ شوقي ضيف، المرجع السابق، ص249.

(3) ـ البيروني، المصدر السابق، ص24.

(4) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص ص252، 254 .

الفصل على حاله[1]، وقد استعمله الصاغة في نقش حروف وأسماء على الخواتم، كما يظهر لنا في خواتم السلطان التي تطبع على الرسائل وغيرها.

2- صناعة الأسلحة:

إلى جانب الحلي كانت صناعة الأسلحة، وإن أهملوا المغاربة صناعة الحلي وتركوه لليهود إلا أنهم لم يغفلوا عن هذه الصنعة التي شغلتهم طوال الوقت، ومع دخول الفتح الإسلامي لبلاد المغرب زاد معه الطلب على هذه الحرفة.

وكانت أهم هذه الأسلحة المستعملة تتمثل في السيف والخناجر والرماح والرقيق إضافة إلى الحراب أو المزارق[2].

وتدخل صناعة السلاح في مجال الحدادة، فلم تغفل المصادر عن سرد مناطق إنتشار الحدادين الذي انتشروا بكثرة نتيجة كثرة معدن الحديد والرصاص، فقد ذكر الوزان[3]عن مدن تسلح أهلها بالخناجر المصنوعة من الحديد الأبيض ذات مقبض مزخرف، وكان لكل رجل خنجره الخاص وذكر قرية إداو إزكواغن من إقليم الحاحا التي تقلد رجالها دائما بخناجر ورماح، كما تحدث عن دكالة التي يكثر فيها الحدادين وخاصة صناعة السيوف الحادة وخاصة بجبل بني ماجر الذي وجد فيه منجم الحديد واستغله أهل المدين في الصناعة.

وقد أكد ذلك صاحب رياض النفوس أن الرجل لا يفرقه رمحه وسيفه وترسه، وقصد بذلك جبلة بن حمود لم صلى بالقيروان وهو يصلى على سلاحه(أي لا ينزع سلاحه أثناء الصلاة)[4]، وهذا يوضح لنا أن السلاح كان مهما عن المغاربة خاص وأن المنطقة كانت محل صراع دائما، لهذا تسابق الكثير من البربر إلى امتهان هذه الحرفة.

---

(1) ـ ابن افكاني، المصدر السابق، ص89.

(2) ـ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص141.

(3) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص ص102، 159.

(4) ـ أبي بكر عبد الله المالكي، رياض النفوس، حققه: بشير البكوش، راجعه: محمد العروسي المطوي، ط2، دار الغرب الإسلام، 1414هـ، 1994م، ج2، ص38.

وقد تشابهت رماح سفاقس برماح إقليم السوس أين تسلح رجالها برماح قصار العصي طوال الأسنان رقاقها وينتخبونها من أطيب الحديد[1].

ولم تغفل الدولة الفاطمية [296هـ/907م] عن استخدام مثل هذه الأسلحة وكانت السيوف أهمها وفيها كل الأنواع القصيرة والمتوسطة والطويلة، وتعلق على الحمائل على الأكتاف، كما اعتمدوا على الأقواس وهي آلة تدعم رمى السهام وأفضل اختراعتها الأقواس التي ترمى السهام دفعة واحدة، وكانت فيها نهايات حادة مصنوعة من الحديد، ومن أسلحتها أيضا الرماح وهي قناة يوضع فيها حديدة مدببة تسمى السنان تقذف لهدم الأسوار[2]، وكانت تعبئ بالبارود ليسمع دويها عن بعد، وكذلك الرصاص الذي يحملونه من القصير ويصدرونه إلى مدينة فاس[3]، وكان يضاف الكبريت على الرصاص لفصل الكحل وذلك أن الكبريت والرصاص يتأكلان[4] وهذا ما يزيد في اشتعال المعدنيين لذلك كان يستخدم الرصاص والكبريت كقذائف التي تحطم أسوار المدن عن طريق كرات معدنية توضع في المنجليق وتقذف بعيدا حدثة دمارا كبير في مكان سقوطها.

ثم استعمل الفاطميون النفط عن طريق زجاجات مملوءة بالنفط والصبر وبذور القرطم المقشور، وكانت هذه الزجاجات ترما باليد عن طريق سلسلة تلف على الزجاجة وترمى على العدو فإن صادفت أي احتكاك انفجرت الزجاجة مسببة اشتعال في لموضع الذي سقطت فيه[5]، على عكس ما استعمله اليونان من قاذفات بحرية قوية بعيدة المدى.

وقد استعان يوسف بن تاشفين بالبارود في سلجماسة حين وقف في حرب مع الأذفونش[6]، وخلف فيهم خسائر كبيرة لأن الأخيرة سريعة الالتهاب.

---

(1) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص228.

(2) ـ عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص262.

(3) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص131.

(4) ـ المصدر نفسه، ج2، ص290 ./ ـ المراكشي، المصدر السابق، ص433.

(5) ـ عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص264 .

(6) ـ أبو العباس أحمد الناصري، المرجع السابق، ج2، ص35، 36.

وقد ذكر لنا ابن أبي زرع أن أمير المسلمين أبا يوسف المريني استعان بحديد المغرب في فتح اشبيلية في غزوة الرابعة والخامسة، حين عمد لتجهيز المنجليق بكرات البارود والرصاص والمثقلة بالحديد لهدم أسوار قرطبة وكذلك حصار تلمسان في سنة 689هـ/1290م[1].

والمنجنيق هي أداة ترمى بها الحجارة والحديد، والنفط أو السوائل الملتهبة مثل الرصاص والبارود، وهي أداة يمكن فصل وا ٕعادة تركيبها ومعظم أجزاءها تصنع من الحديد والخشب[2] وتشبه الأنفاط وهي آلة ترمى النفط المشتعل على الأسوار وكانت تستخدم كالمدفع[3]، ويرجع أول إشارة إلى استخدم النفط في الحروب كمعدن مشتعل وذلك تقليدا لسلاح اليوناني سنة 387هـ/ 997. 998م، فلم وصل باديس إلى افريقية هاجم المهدية بسفن كانت تحمل منجليق يرمى النفط، ومن بعدها استعمله علي والحسن الصنهاجي[4].

كما استخدم السلاح أيضا لصيد الحيوانات، لذلك خصصت له أماكن لبيع خارج الأسواق وتأتي هذه الدكاكين بعد سوق الأقمشة، أي خصصت أماكن لصقل الأسلحة من سيوف وخناجر ورماح، حيث يقوم عمال فاس بصقلها وبيعها لعامة وللجيش، ويجنون منها ربحا كثيرا خاصة في فترة الحروب، كما تحتاج هذه الأخيرة إلى صنع لجام الخيل من سروج وقطع حديدية لطقوم الخيل، والتي تفنن اليهود الذين سيطروا على أزيد من مائة دكان لحدادة، وقد خصص لها مكان في الحي الشرقي في اتجاه مدرسة أبي عنان[5].

وقد اعتمد عليها هذا الأخير في حروبه في مدينة فاس، حيث فتح قسنطينة وتونس وعنابة وأخضع بلاد الزاب، وما فعله الشيخ أبو عبد الله بن سلمة الأندلسي عندما أوصل بيعة أهل قابس وأهل طرابلس وقرقمة، فخضعت كل هذه الأوطان لملك واحد هو أبو عنان،

---

(1) ـ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص221، 222.

(2) ـ عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص263.

(3) ـ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص221.

(4) ـ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص147.

(5) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص238، 240.

فبعد أن فتح الباب على مصراعيه لمثل هذه الصناعات تسابق المغاربة في إتقان أفضل السيوف والرماح والخناجر[1]، التي لم تخن حامليه يوما.

وهذه الصناعة من الصناعات المركبة التي ذكرها إخوان الصفاء[2] التي يحتاج فيها الصناع إلى النار لصنع سكين وسيف أو درع ليلين به الحديد[3].

كما أنه لا يمكن حصر صناعة الأسلحة إلا على معدن الحديد، فقد كشف لنا صاحب نخب الذخائر أن المرجان كان يأخذ منه القطع الكبيرة وترفع إلى ملك افريقية وكان يصنع منها محابر ونصب سكاكين[4]، وتحدث عنها الوزان وأنها كانت تصنع من المسلمين الأسبان الذين قصدوا بلاد فاس وأسسوا حرفة فيها، فقد صنعوا أسلحة في القيصرية التي فيها عدة حرف[5].

كما عرفت الدولة الزيانية تنظيم حرفي كبيرا وكانت الصناعة الحديدية من بين الصناعات الهامة لتوفر المادة الأولية في محيط الدولة الزيانية، وكانت صناعة الأسلحة من بين هذه الحرف وظهرت هذه الحرفة في مدينة تفسرة التي تخصصت في صنع السيوف والرماح والخناجر والمقابض والفؤوس واكتسب أهل سمعة جيدة ونال بفضلها ربحا وفيرا [6].

[6].

كما كان للقادة الحفصيين نصيب أيضا في حمل السلاح، فقد لبسوا دروعا معدنية مصنوعة من أجود الحديد، وتسلحوا بسيوف قاطعة وغمدها المرصع بالزخرفات الذهبية

---

(1) ـ ابن الحاج النميري، فيض العباب، اعداد: محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص ص78، 81.

(2) ـ إخوان الصفاء، المصدر السابق، ص106، 107.

(3) ـ محمد محمود محمدين، المرجع السابق، ص364.

(4) ـ ابن اكفاني، المصدر السابق، ص 89.

(5) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص245.

(6) ـ علوي مصطفى، الأحوال الاقتصادية للمغرب الأوسط من خلال كتاب الرحالة والجغرفيين المغاربة(ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/ الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين)، دورية كان التاريخية، العدد الرابع عشر، ديسمبر 2011م، ص88.

والفضية المصنوعة من الخشب، والذي كان يحمل على الأكتاف بواسطة رباط معلق في غمد السيف، وتسلح القائد أيضا برماح رقيقة وطويلة تستعمل عادة لطعن العدو، وكان الجنود يحملون خناجر وحراب وسهام[1]، أما بخصوص الأسلحة النارية أي النفطية فلم يذكر أن لها هذه الأداة في افريقية مثلما كان لمرينين في بلاد المغرب الأقصى، حين استعملوه في حصار سلجماسة وذلك أن حجارة المجانيق النفطية يكون لها أثر مدوي أكثر من البارود وقذائف الحديدية.

وما نلاحظه هنا أن الأسلحة لم تختلف مع اختلاف مراكز السلطة، كما لا تختلف أسلحة الأسطول البحري عن أسلحة الجيش البري، فقد استعمل في البحر المجانيق والسلالم والمساحي والفؤوس والمعاول والرقائق والدروع والسيوف والرماح والسلسل[2]، وذلك بفضل ما ناله بلاد المغرب من غنى في معدن الحديد التي توزع في تراب المنطقة .

3- صناعة السفن:

وهي أيضا من الحرف التي يمتهنها الحدادين إلى جانب صناعة الأسلحة السابقة الذكر، ونجد هذه الحرفة ـ صناعة السفن ـ تتركز في المدن الساحلية المحاذية للبحر حتى يسهل على السفن الخروج من المرفأ، وقيل أن السفينة هي الفلك والسفانة هو مكان صناعة السفن[3].

وذكرها الخالق عزوجل في سورة هود لما أمر نوح ببناء السفينة فقال: ﴿ ...نَعِ الْفُلْكَ ... حْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (37) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ ... هُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (38)﴾[4].

---

(1) ـ روبار برنشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي (في القرن 13إلى 15م)، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، ص83، 84 .

(2) ـ عز الدين عمر أحمد موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق، 1403هـ، 1983م، ص57.

(3) ـ شوقي ضيف، المرجع االسابق، ص454 .

(4) ـ سورة هود، الآيتان 37، 38 .

وجاء عن المختار الصحاح أن السفن من السفينة والسفان هو صاحبها وقال عنها ابن دريد كأنها تسفن الماء أي تقشره[1]، وذلك لقشر وجهها على الماء أي كأنها قشرة يحملها الماء وصانعها هو سفان وحرفته السفانة[2].

و السفينة أنواع: سفن حربية وأخرى تجارية وهي تشترك أيضا مع السفن التي تحمل لرحلة، وقد ذكرت لنا المصادر عدة مراكز لصناعة السفن، وكانت هذه الأخيرة على شكل مراسي لتحميل البضائع ونقل المسافرين، فيما فصلت السفن الحربية عن هذه الأنواع[3]، ولعل ذلك يرجع إلى أخذ الحيطة والاحتراز على الأسلحة والمعدات الحربية.

فإلى جانب الخشب كان يستعمل الحديد والقصدير في تلحيم السفن وخاصة الحربية منها حتى تصمد في المعارك، فلقد شهدت المهدية دار لصناعة السفن في عهد الحسن الصنهاجي، وكانت تغطي حاجتها من الخشب والحديد من بجاية وهذه الأخيرة أيضا كان لها دار صناعة رائعة في عصر أخر أمرائها بني زيري[4]، وقد أكد ذلك الإدريسي حين عينها ببلاد بني حماد وذكر أن بها جبال في أقاليم الزفة الذي يقطع منه الخشب، وزاد أن الحديد من أجوده وأفضله وكان يستعمل في دار صناعة السفن وا إنشاء الأساطيل والمراكب والسفن الحربية [5].

أما عن أنواع القطع التي كانت تنتجها بجاية فكانت المراكب من بينها، وهي عبارة عن سفينة تجارية كبيرة كانت تحمل عليها السلع وتدخل ضمن التصدير والإستراد، والسفينة هي أصغر من المركب وكان يستعان بها في الغزو وذلك لسهولة تنقولها في البحر وا إذا زاد عددها من نفس النوع شكلت لنا أسطولا، والشيني وهي السفينة الشراعية وكان يقال للسفن

(1) ـ زين الدين الحنفي، المرجع السابق، ص127.
(2) ـ الفيروز ابادي، المصدر السابق، ص1205.
(3) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص90.
(4) ـ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص146.
(5) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص260.

الحربية حرابي والغرابي، أما السفن التي تنقل الناس فسميت بالطريدة، كما استعمل الشلندي وهو قارب مسطح يستعمل لتنقل لمسافات القربية[1].

فالمدينة التي كان لها دار لصناعة السفن تكون مميزة عن غيرها من المدن، فتصبح بفضل معدنها مركز إستقطاب لكل الأعيان من التجار والحرفيين وطلاب العلم وغيرهم من الوافدين الذين زاد عددهم مع دخول الفتحين لبلاد المغرب، فلقد بني عبد الملك بن مروان دار صناعة سفن في تونس حين أمر وليه حسان بن نعمان بإنشاء هذه الدار القوية، ويخرج منها المراكب لإغارة على السواحل الرومانية، فإستعان حسان بالقبط وأقام أسطولا حربيا قويا، وسيطر على بحر من رادس إلى هذه الدار، وقام على بنائها ابن الحبحاب ولم جاء عبيد الله أعاد تجديدها وتحصينها [2]، وسيطرة تونس بهذه الدار على البحر المتوسط، وفتحت بها مدن كثيرة، وقد حصد منها المسلمين ربحا كثيرا بتوفير مناصب شغل للسكان المنطقة، إضافة إلى أنها مركز تجاري بين تصدير وا ٍستراد وخاصة وأن العديد من الأسواق اتصلت بهذا المرافئ.

وقد أكد لنا القيرواني بأن موسى بن نصير جعل الدار تبعد عن البحر باثني عشر ميلا، وصنع بها مائة مركب وغزا بها الروم[3] ونالت هذه الدار اهتمام الحكام والولاة وأصبحت مركز قوة للمدينة.

ونجد البكري حدد موضع الدار بدقة فقال أنها على بحيرة كبيرة تبعد عن اليابسة بأربعة وعشرون ميلا في وسطها جزيرة أطلق عليها شكلة وبها مبنى وهو دار صناعة السفن وعلى

---

(1) ـ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص147.

(2) ـ ابن أبي دينار القيرواني، المصدر السابق، ص12.

(3) ـ ابن أبي دينار القيرواني، المصدر نفسه، ص33 .

ـ أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط(500هـ، 1100م)، ترجمة: أحمد محمد عيسي، مراجعة: محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية للنشر والطبع، القاهرة، ص101.

جانبه مسجد عبد الله، وقد وصلت البحرية بالدار الصناعة[1]، وذلك لتسهل خروج السفن الجديدة إلى البحر.

حيث شهد هذا الإقليم تحرك دائما لسفن التي كانت تنطلق من بجاية وعنابة وتونس والمهدية، وكانت هذه السفن تجهز من طرف الحكومة وذلك أن الدولة هي التي تتكفل ببناء السفن وتحميل البضائع عليها أو أنها كانت تجهز من طرف شركات المتاجرين[2]، أي أن دار صناعة السفن كانت ملكية خاصة وذلك نتيجة غنى أهل المغرب صار لهم سفن خاصة لتحميل البضائع وتصدير منتجاتهم.

وبذلك نجد مرفئ أخر على نفس الشريط الساحلي في مدينة بونة أو عنابة التي كان بها من الحديد ما يخولها بإنشاء دار صناعة سفن ومنافسة مثيلاتها من المدن الساحلية، فقد أكدت لنا المصادر أن هذا الحديد صنع منه أسطولا بحريا قويا، جعل من التجار يقصدون المدينة للأخذ منها وكان لأربس أيضا دورا في تدعيم هذه الدار لقربها من بونة[3].

كما اهتم المرينون بإنشاء أسطول بحري يساعدهم في غزواتهم فقد أمر يوسف بن يعقوب بإنشاء دار لصناعة مثل التي بمدينة سلا، ووضع عليها محمد بن علي بن عبد الله الاشبيلي، وكانت هذه السفن مجهزة بكل أنواع السلاح واستعان بها في فتح الجزيرة الخضراء، في البحر الأبيض المتوسط والتي كانت خاضعة لحكم الإسباني[4].

فقد خلف انكسار الموحدين حالة من الضعف، فلم يستطع المرينون أن يعودوا إلى تلك القوة التي كان عليها أسلافهم في السيطرة على البر والبحر، فالتزموا بموقع الدافع أكثر من حالة الهجوم، فقد بناء السلطان أبي الحسن أسطولا بحريا وصل فيه عدد السفن إلى نحو

---

(1) ـ البكري، المصدر السابق، ص39.

(2) ـ روبار برنشيفك، المرجع السابق، ج2، ص96.

(3) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص291.

ـ المقدسي، المصدر السابق، ص226. / ـ ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص77، 86.

(4) ـ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص ص258، 269.

600 سفينة حربية، وكانت مجهزة للرد على هجومات العنف من القراصنة الإسبان المسحيين[1] الذين اعتادوا الهجوم على سواحل الشمالية لإفريقيا.

ومن السفن التي كانت تنتجها دار الصناعة في العهد المريني، القرقورة وهذا النوع من السفن ينقل المئونة للأسطول واستعان بها أبو يعقوب يوسف في فتح الجزيرة الخضراء[2]، كما استعانوا بالشيني الذي يستعمل لنقل المحاربين حيث تقام فيه الأبراج وقلاع للدفاع والهجوم، وكانت تستهلك الحديد كثيرا لكبرها وقوتها، وذلك تمتينا لها لمواجهة، وسفينة الغراب وأخذت هذا الاسم من لونها الأسود والطريدة التي تحمل برميل النفط إضافة إلى حمل الخيول والعتاد من السلاح وغيرها، وكانت تبنى من الخشب المتين والحديد الصلب حتى تتحمل ثقل العتاد الذي تنقله[3]، ومن السفن الاستطلاعية والتي تختلف حسب الحدث والحالة نجد القارب والشيطي وهو خاص بالجند والقادة والجفن خاص إلا بالأسلحة، والحراريق التي تصنع إلا من الحديد وتقذف الشعل النفطية والمسطحة التي تنقذ السفن المعرضة للغرق وسفينة أخر صغيرة ومميزة والتي تقوم بتغير الرماة واسمها السلالير[4]، وغيرها من السفن التي ساعدة الدولة المرينية في تكوين قوتها البحرية ويرجع الفضل إلى دار الصناعة التي زودتها بأجود أنواع الحديد وأفضل العمال وأمهرهم.

ويعود هذا الزخم الكبير في التسابق على إنتاج أفضل أنواع السفن وبكل التطورات التي نشهدها من فترة إلى أخر إلى دعم الولاة منذ دخولهم إلى بلاد المغرب، بإنشاء مثل هذه الحرف خاصة مع توزيع المعادن في كل المغرب وخاصة الحديد الذي غطى احتياجات المنطقة.

---

(1) ـ جابر المتولي قميحة، الأسطول المغربي أيام العلويين، مجلة دعوة الحق، عدد 116، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمنشور السعيد، الرباط، ص19 .

(2) ـ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص ص259، 261.

(3)- المصدر نفسه، ص259 .

ـ ابن الحاج النميري، المصدر السابق، ص ص127، 207.

(4) ـ ابن الحاج النميري، المصدر نفسه، ص207.

ـ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر نفسه، ص269.

فمنذ أيام حسان بن نعمان شهد هذا المجال تسابق على بناء أحسن السفن وغزو العالم بها، فنجد أن كل منطقة كانت تغطي احتياجاتها من الصناعات الحديدية وتصدر فائضها للمنطقة الشمالية البحرية، فلا يمكن اعتبار أنه إن وجد الحديد في مناطق الداخلية لاستفادة منه المناطق الساحلية، بل على العكس فقد وصل هذا المعدن الأسود من تدنست وأديكيس وا إداو عاقل وجزوالة وفاس إلى بونة وبجاية وتونس واالمهدية[1]، فهو يقدم لنا صورة على التبادل التجاري في بلاد المغرب.

4- سك النقود:

وهي من الصناعات المعدنية الخالصة، فلم تختلف المصادر في ذكر مراكز سك العملة، وفي تعريف هذه الحرفة أنها ضرب المعدن حتى يلين، وهي عملة يتداول الناس صنعتها ويقال للعامل عليها سكاك[2]، أي الذي يقوم بلحدها وضربها.

وقيل أن السكة هي الختم على الدنانير والدراهم المضروبة على سكة الحديد والمنقوشة، وهي دائما ذات طابع جديد ونقوش مختلفة وبوزن معين، وكان ملوك العجم يتخذونها وينقشون فيها تماثيل متخصص بهم، ولم جاء الإسلام ونتيجة لفتوح الكثيرة أدخل عليها الحكام طابعا أخر، فتعاملوا بسك العملة الذهبية والفضية وزادوا وزنها[3].

ذكر أن للدراهم نوعان، نوع فارسي والأخر رومي، ويقال منها البغلية وهي تكون سوداء ويأتي منها ثمانية دوانق، والأخر يطلق عليها الطبرية وتخرج منها أربعة دوانق[4]، وبهذا يستطيع التاجر أن يميز بين العملة الجيدة من العملة المزيف.

---

(1) ـ محمد محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار للطبع والنشر، القاهرة، 1408هـ، 1988م، ص154./ ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص291./ ـ حسسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص ص99، 104.

(2) ـ شوقي ضيف، المرجع السابق، ص440.

(3) ـ أحمد الشرباصى، المرجع السابق، ص222، 223.

ـ نزيه حماد، معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء، دار البشير، جدة، 1429هـ، 2008م، ص246.

(4) ـ أبي الحسن علي الحكيم، المصدر السابق، ص78.

ومن أوصاف القائم على هذا الدار هي السمعة، فقد أهتم الناس في بلاد المغرب بسمعة القائم على هذه الحرفة وسلوكه، فلو كن غشاشا وكاذبا فكيف تكون صنعته؟ والعكس، وربطوا ذلك بالشهود وخاصة العمال الذين يزاولون هذه المهنة، وكيفية التعامل مع هذه المعادن والحفاظ على الكم والنوع والوزن، وهذا ما يطلق عليه المعيار، ويدخل ذلك في حفظ الميزان وشكله وصيانته من أي تلبس وغش[1]، فقد أعطى الإسلام هذه الأمور والتي تظهر للعيان على أنها أمور بسيطة قيمتها، خاصة وأن الذي يقوم عليها يتحمل مصير أمة بأكملها ومع العلم أن أرض الإسلام اتسعت وكثرت معها التعاملات فتداولت معها العملات، وا ٕذا حـ ُفظ على العملة حفظ بذلك على شرف الإسلام.

ووصل لنا أن القيروان كانت محطة يقف عليها القادة في تخليد أسمهم، وتأكد من ذلك بتغير العملة على يد عبد الله بن مروان والوليد ابنه من الدينار البيزنطي إلى الدينار الإسلامي يحمل اسم الله وذلك سنة 85هـ، ثم جاءتـولاية موسى بن نصير وا ٕنشاء دار سكة قرب دار الإمارة ومن المسجد الجامع، وأدخل عليها عدة أعمال تعريبية واشتغل بها خلق كثيرا وبقيت حتى العهد الفاطمي، وما يميز هذه الدار عن غيرها أنها استعانة بمعدن الزجاج في ضرب دراهم ودنانير ذات شكل استداري[2].

ومن المدن التي استعانة باليهود في ضرب العملة نجد مدينة تدنست الخاضعة لإقليم الحاحا في القسم الغربي لبلاد المغرب، فكان هؤلاء اليهود يملكون دار سكة لضرب النقود الفضية، فيستخرجون من كل أوقية من فضة (أونس) مائة وستون قطعة نقدية صغيرة تشبه (الهيلير) وتكون على شكل مربع[3].

وقد سيطر بذلك اليهود على المنطقة، وفرضوا كلمتهم على هذه الصنعة، كما وجد في نفس الإقليم مدينة أخر تدعى أديكيس والتي عرف عن يهودها بأنهم أغنياء نتيجة لإمتلكهم

---

(1) ـ أبي الحسن علي الحكيم، المصدر السابق، ص ص50، 72.

(2) ـ محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص154، 155.

(3) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص99.

دار سكة خاصة بهم، فكانوا لا يتعاملون في سوقهم إلا بهذه العملة الفضية وكانت هذه تستمر هذه السوق خمسة عشر يوما متواصلة وأكثر السلع المتداولة كانت الحديد والفضة[1]، وذلك لكثرة المناجم التي كانت منتشرة وسط جبالها.

كما كانت لهم أسواق معروفة بسمهم في تونس سموها سوق اليهود، وكانت هذه الأسواق تتاجر في العملة وهي ما يعرف اليوم بسوق السوداء، حيث كان التجار اليهود يقدمون عروضا تجارية مقابل فوائد وهذا حرام في الدين الإسلامي، لهذا أطلق لفظ مرابي على التاجر اليهودي الذي يتاجر في العملة، وبهذا سيطر اليهود على الصيرفة[2]، وذلك بعد سيطرتهم على معظم الحرف وخاصة المعدنية منها، ولذلك ظهر الغش وزيف في العملة بعد أن طبعت على يد غير مسلم.

وهذا ما جعل البيزنطيين يطمعون في خيرات المغرب، فقد سيطرة حكومتهم على جميع المرافق وظهرت قوتها في الشارات التي وضعتها ومن بينها العملة التي برزت فيها قيمة المعدن المغربي وحسنه بفضل تنظيمها لحرف والصناعات[3].

ولعل هذا النهش الذي عانت منه بلاد المغرب بفعل سيطرة البيزنطيين على معادنها جعل كل دولة تقوم يظهر فيها حب السيطرة على مثل هذه الصناعات، فقد احتكرت ضرب السكة وأهم دار سكة كانت خاضعة لحكم الدولة وجدت في المنصورية والمهدية وطرابلس وزويلة، أما الخواص فكان لهم الحق في تحويل معادنهم من حلي وأواني وسيوف وغيرها إلى عملة عند طريق تقديمها لمثل هذه الدور لسك نقود لهم من معدنهم[4].

إضافة إلى فاس الجديدة فقد وجد معمل لضرب النقود قرب القصر الملكي، والذي يتركب من بناية تحيط بها ساحة مربعة الشكل، ويتكون المبنى من حجرات صغيرة يشتغل

---

(1) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص101.

(2) ـ مجهول، التجارة في عهد بني زيري بإفريقية (362ـ 543هـ/ 972 ـ 1148م)، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، المشرف مجهول، [د، جامعة]، [د، قسم]، ص34.

(3) ـ أرشيبالد لويس، المرجع السابق، ص19.

(4) ـ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص148.

فيها العمال بين القائم على الدار ومحاسبيه وكتابه، ويؤكد الوزان على أنها كانت تابعة للملك الذي يستفيد من فوائدها[1].

ومن دار السكة الغير ملكية، نجد واحدها في سلجماسة وكانت تضرب نقودا فضية وذهبية تشبه المثاقيل (السلاتشي) الخفيفة ورديئة الذهب، وكان وزن العملة الفضية أربع حبات، وهو ما يساوي ثمانون مثقالا، حيث يأخذ رؤساء الإقليم قسطا من مداخيل الدار ويأخذ الباقي الأعراب من الناس[2].

وقد تحدث ابن حوقل عن هذه الدار أيام المعز لدين الله والذي يأخذ على التجار أربع مائة ألف دينار من أرباح الدار، وكلما زاد دخلها زادت حصته منها وكان يأخذ من خمسة أيام ثلاثة أيام[3].

ورغم أن الدولة الفاطمية انتقلت لمصر إلى أن التبعية النقدية مازلت لها، فقد سك بنو زيري عملة مطابقة للعملة الفاطمية لنفس الخليفة وبنفس الشعار، ومع الطابع الصنهاجي زاد التغير الطفيف على هذه العملة التي كانت تحمل اسم المستنصر الشيعي، فقد عوض اسم المنصورية المدينة التي بناها المنصور باسمها القديم صبرة (سنة 439، 440هـ/1047، 1048م) ويقال أن المعز لدين الله له يد في هذا التغيير[4]، ولعل ذلك يرجع إلى الزحف الهلالي على المنطقة فعطل ذلك وصول المواد الأولية لهذه الدار.

ووصل لنا أن القيروان كانت محطة يقف عليها القادة في تخليد أسمهم، وتأكد من ذلك بتغير العملة على يد عبد الله بن مروان والوليد ابنه من الدينار البيزنطي إلى الدينار الإسلامي يحمل اسم الله وذلك سنة 85ﻫ، ثم جاءت ولاية موسى بن نصير وا إنشاء دار سكة قرب دار الإمارة ومن المسجد الجامع، وأدخل عليها عدة أعمال تعريبية واشتغل بها

---

(1) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص283.

(2) ـ المصدر نفسه، ج2، ص126.

(3) ـ ابن حوقل، المصدر السابق، ص98 .

(4) ـ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص148، 149.

خلق كثيرا وبقيت حتى العهد الفاطمي، وما يميز هذه الدار عن غيرها أنها استعانة بمعدن الزجاج في ضرب دراهم ودنانير ذات شكل استداري[1].

وقد انفردت السكة الموحدية عن بقية المسكوكات الإسلامية في الزخرفة الداخلية للدينار الذهبي الدائري الشكل وفي وسطع مربع مربع متوازي الأركان، وذلك في فترة حكم عبد المؤمن بن علي وابنه أبي يعقوب يوسف (558هـ، 1123م)، ومن المعروف أن الموحدين هم أول من ضرب الدينار الذهبي مربع الشكل، يتراوح وزنها بين 2,5 غرام و 4,8 غرام[2]، وهذا يدل على أن بلاد المغرب شهد تطور معدني كبير مكانه من أن يتميز عن غيره من الأمم.

5- صناعة الأواني:

غزت هذه الحرفة أسواق بلاد المغرب فلا تكاد تجد عائلة إلا بها أحد أفرادها يشتغل بهذه الحرفة، ولعل هذا يرجع إلى أن السكان كانوا يستغلون الطين أو الفخار في صناعة الأواني، ولكن المهم من هذه الحرفة هو تطورها من الناحية المعدنية أي استخدام النحاس والحديد والقصدير في صنع أواني طهي الطعام، وقد ذكرت لنا المصادر هذه الحرفة لكن دون تفصيل فيها من حيث كيفية الصنع وغيرها من الأمور.

ومن هذه البقاع نجد ذكر مدينة برقة التي تفنن أهلها في صناعة أواني زجاجية أثنا عليها صاحب وصف افريقية بأنها أواني مذهبة غريبة يعجب لها الحاضر وتفتن بها العيون من حسنها وبهائها[3]، ولعل ذلك يرجع لدهي اليهودي وحيلته في الحرفة، فقد برع في هذا المجال حيث احترف اليهود في تشكيل النحاس، وسيطروا على منطقة الجنوب غربي للمغرب الأقصى من إقليم الحاحا، فوجد اليهود في تادلا التي اشتهرت بمناجم النحاس الخالص، وقد استخدم النوع الأصفر منه في صناعة الصواني المستديرة وأدوات العبادة التي

---

(1) ـ محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص154، 155.

(2) ـ محمد موشموش، تطور شكل السكة الموحدية من خلال أربعة نماذج غير منشورة للدرهم المستدير، دورية كان التاريخية، العدد السابع عشر، سبتمبر 2012م، ص34، 35.

(3) ـ مجهول، وصف افريقية من كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص40.

كان اليهود يتخذونها في عبادتهم مثل الشمعدان، الذي يرمز لشجرة الحياة، واستخدموا النحاس الأحمر في صناع القدور والطاسات والمراجل[1]، وذلك أن النحاس الأحمر يكون أكثر صلابة من النحاس الأصفر لذلك يستعمل الأول لصنع الأواني التي تواجه النار دائما.

لذلك نجدهم قد سيطروا على أسواق تيدسي وتكاووست وهما مدينتي من السوس، حيث وجد فيها عدد كبير من دكاكين اليهود وكانوا جميعهم يمتهنون حرفة الحدادة[2]، أي المهنة المسيطرة على جميع المعادن لأنها تهتم بصقل المعدن الصلب وتلينه واستخراج الجيد منه.

ولزلنا في بلاد المغرب الأقصى حيث أجمعت كل المصادر على أن فاس هي مركز الأول للإنتاج النحاس في بلاد المغرب، فقد احتوت أثنى عشر دارا لسبك النحاس وكلها تعود لليهود الذين خصصوا أزقة وأسواق لصناعة الأواني النحاسية[3]، المتفننة في صنعها بأحسن الرسوم والزخرفات فكانت هذه الأواني تشكل فسيفساء رائعة.

ومن عجائب المعادن نجد ثريات البرونز في جامع القرويين في مدينة فاس وحملت كل ثرية ألف وخمسمائة مصباح، وصنعت من نواقيس المدن المسحية التي فتحها ملوك فاس وكانت في قمة الجمال والبهاء تعطى للجامع طابع خاص من العظمة والجلال، وبجوار الجامع في جهته الشرقية كان مكان مخصص لبيع الأواني النحاسي والصفر[4]، كما وجد هذا النوع من الأواني في افريقية وخاصة في تونس وقفصة، التي تفنن صنعها في نحت أنية للماء شديدة البياض مخلوطة بالطين والنحاس، في حين لم تغب الأواني الحديدية عن

---

(1) ـ عبد الرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي (22، 462هـ/ 642، 1070م)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، 2001م، ص94، 95.

(2) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص119، 120.

(3) ـ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص48./ ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص242.

ـ علي الجزنائي، المصدر السابق، ص34.

(4) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص ص224، 234.

المنازل الإفريقية[1]، وأشهرها القدر الذي يطهى فيه الأكل وكان يستعان بالحديد الأسود لصلبته وتحمله النار أثناء الطهي.

كما اشتهرت سبتة بصناعاتها النحاسية التي برع فيها يهودها مثل الشمعدانات السابقة الذكر والتي ترمز لديانتهم اليهودية، إضافة إلى الأجفان والمحابر ولقد تشابهة هذه التحف بالأواني الدمشقية، وكانت تباع على أنها صنعت من الفضة لكنها صنعت من النحاس الأبيض الذي عرف بصلابته[2] وسهولة العمل عليه، كما استغل المرجان في صنع قوبريات لطاف وكانت لبني أمية[3].

في حين لم تغب طرابلس عن هذه الحرفة فقد استغلت مخزونها المعدني وأنشئت دكاكين لصناعة الأواني النحاسية والزجاجية، إضافة إلى إدخال البرونز كعنصر مهم في الزخرفة والتزيين وهذا ما يوضح لنا أن الفاطميين وأثناء خروجهم إلى مصر خلفوا فنون معدنية استغلتها طرابلس في تطوير منتوجها ونمو تجارتها[4].

فقد بنى النوميديون أربعة قصور في إفران التي تبعد نحو ثلاثة أميال عن مجر مائي استغله الصناع في لحد معادنهم، وكان هؤلاء الحرفيين يقطنون هذه القصور وتسابقوا في الصناعات اليدوية وخاصة صناعة الأواني النحاسية، وذلك لوجود مناجم النحاس في المنطقة وكانت تروج كثيرا في بلاد الزنوج[5].

وبالاتصال الجغرافي من افران إلى أغمات التي تفنن أهلها بالبراعة اليدوية فقد استغلوا جميع المعادن في صنع الأواني، فصنعوا القوارير الزجاجية والأجفان من الأصداف وقوارير للعطر وأواني نحاسية وفضية وحديدية[6] وقد تسابق التجار في اقتناء هذه المنتجات.

---

(1) ـ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص252، 253.

(2) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص317.

(3) ـ أرشيبالد لويس، المرجع السابق، ص ص15، 37.

(4) ـ ابن حوقل، المصدر السابق، ص79.

(5) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص117.

(6) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص232.

وبالقرب منها كانت تيهرت مركزا تجاريا للصناعات المعدنية وخاصة الأواني الزجاجية والتحف الفنية المعدنية المكونة من النحاس والبرنز والفضة[1].

وا إلى جانب صناعة الأواني كانت هناك صناعة أخر تعتبر أيضا من الضروريات مثل صناعة الإبر، وتدخل هذه الحرفة أيضا ضمن نطاق الحدادة، حيث اشتهرت فاس بصناعة الأبر وأدوات الخياطة، وكانت تأخذ هذه المنتجات إلى تفزة للمتاجرة فيها[2]، وقد خصصت لها فاس سوق وعرفت بأزقة القيصرية وكانت في الجهة الشرقية إلى جانب سوق العطارين وكان بها نحو خمسين دكانا كانوا كلهم يتقنون هذه الحرفة، وبجوارها سوق الخيوط[3]، وذلك حتى يسهل على المشترى اقتناء هذه المنتجات، وذلك لأن لإبرة والخيط متصلان صلة دائما، فالإبرة أداة حادة أحد طرفيها محدد ولأخر مثقوب[4]، يدخل فيه الخيط المصنوع من القماش ويخاط بها الثياب، لذلك نجد فاس انتبهت لهذا الجانب وقربة سوق الإبر لسوق الخيوط والقماش.

وهذا يقدم لنا صورة متكاملة عن دور المعادن في تطور المفهوم الحرفي عن أهل المغرب، ويظهر لنا قيمة المعدن في إبداع الحرفي وتفننه في حب هذا الفن، ويظهر ذلك في أثار مدينة تبسة التي وجد فيها تمثلين لأسدين صنع في غاية الإتقان والخفة وكانا من النحاس الأحمر، إضافة إلى العدد الهائل من العقارب النحاسية التي تظهر للوهلة الأول على أنها حقيقية[5]، إضافة إلى صومعة المنصور في مراكش والتي تحمل ثلاث (3) تفاحات ذهبية تزن كل واحدة منها مائة وثلاثين ألف مثقال إفريقي[6].

---

(1)ـ بحار إبراهيم بكبر، الدولة الرستمية، مطبعة لافوميك، الجزائر، 1985م، ص224.

(2) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص177 .

(3) ـ المصدر نفسه، ج1، ص243.

(4) ـ شوقي ضيف، المرجع السابق، ص2.

(5) ـ مجهول، وصف افريقية من كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص49.

(6) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص131.

ناهيك عن عظمة الأبواب الخاصة بمدن ومنها مدينة سفاقس ذات أبواب ضخمة مصفحة بحديد منيعا، ومنها إلى مدينة المهدية ذات طيقان الذهب التي شيدت في قصر الحسن وكانت مما يفتخر به ملوك العرب [1].

إضافة إلى تحف فنية أخر وهي معلقة تونس التي استغلت جميع المعادن في رسم حلة جميلة لها[2]، كما تكلمت المصادر عن خزانة تيهرت التي صنعة من الحديد والقصدير ويقال أنها كانت كبيرة وذات إتقان رائع[3].

وهذه التحف الفنية تمسح عن التاريخ ضبابه وتأكد للقارئ أن الحرفي البربر استطاع أن يثبت ذاته ويكون حضارة برسم خياله في قطع عجز عنها الإنسان المتقدم أن يكون مثلها، فمهم وصلنا له من تقدم ولم نستطع أن نصنع حضارة قوية يتذكرنا بها التاريخ، لذلك أنا أخاف من أن يكون لنا مستقبل، ولكن مستقبل فوضوي خالي من الإبداع وتنظيم، بعد أن سيطر على حاضرنا نوعا من قوة السرعة، هذه الأخير تجعلك لا تدقق في الأشياء، فحاضرا بلا تاريخا هو في المستقبل ماضي منسي.

(1) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص280، 282.

ـ ابن حوقل، المصدر السابق، ص73

(2) ـ الزهري، المصدر السابق، ص108.

(3) ـ ابن حوقل، المصدر السابق، ص86.

المبحث الثاني: نمو التجارة المعدنية

شهد بلاد المغرب منذ دخول الفاتحين أرضه تطور اقتصادي كبير مكنه من تكوين علاقات تجارية مختلفة مع الدول المجاورة وحتى البعيدة، خاصة مع تطور الجانب البحر في صناعة السفن السابقة الذكر، لهذا شهدت المنطقة حركية معتبرة خاصة مع ظهور الدول المستقلة عن مركز الخلافة.

حيث شهدت الدولة استقرار اقتصادي نتج عن الاستقرار السياسي للمنطقة، وتحكم بذلك على جميع أطور النمو الإنتاجي الخاص بالثروات المعدنية لها[1]، لهذا ارتأيت إلى عنصرين مهمين في هذا المبحث من نمو التجارة المعدنية، ويظهر معه ما مدى التواصل الاجتماعي لبلاد المغرب؟ ويدخل هذا ضمن التجارة الداخلية، كما يظهر عنصر أخر مع دخول الفاتحين لأرض المغرب وتكون علاقات تجارية خارجية.

1 ـ التجارة الداخلية: لم تغفل المصادر عن تقديم صور موضحة عن مدى التبادل المعدني في بلاد المغرب، لذلك فصلت في كل معدن وطرق تجارته.

أ ـ تجارة الملح: لا يوجد في معظم أجزاء إفريقيا ملح غير الذي يتم استخراجه بحفر سراديب، ونجد فيه الرمادي والأبيض والأحمر وهو يكثر في بلاد المغرب، حيث يساوي ثمن الرطل منه نصف مثقال، ويتم جمعه بعد أن يجمد في الصيف وفي بعض البحيرات المالحة مكونا طبقة بيضاء مستقيمة[2]، لذلك نجد بعض المناطق من بلاد المغرب تصدر الفائض من ملحها إلى المناطق المجاورة لها خاصة عندما تفتقر المدن لمثل هذا المعدن.

ومن المدن التي غطت منتوجها احتياجات سكانها نجد طرابلس في بلاد المغرب الأدنى، والتي كانت بها سبخة كبيرة من الملح وكانت ترفع منها للمناطق المجاورة[3]، كما تاجرت بنزرت بالملح إلى المناطق المتصلة بها خاصة وأن هذا المعدن صار يظهر للعيان

(1) ـ محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص231.

(2) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص280.

(3) ـ البكري، المصدر السابق، ص8.

يتخذ منه السكان مجالس لهم، فكانت لها أسواق خاصة يقصدها أهل افريقية لأخذ الملح منها[1]، وعلى بعد أيام منها كانت طبرقة تتقاسم سبخة ملح مع مرسى الخرز ويرفع منها الكثير[2]، كما تاجرت نفزاوة بالملح وقد قصدها تجار قسطيلية ويقال عنها أن لها سبخة عظيمة اتسعت في الصحراء وكان يرفع منها الكثير[3]، وهذا يوضح لنا كمية الإنتاج التي كانت تنتجها نفزاوة وراجع الدخلي لقسطيلية التي تعاملت بشكل كبير معها.

كما تبادلت مدن المغرب الأدنى الملح فيما بينها، فقد عرف عن ملح أوجلة بأن فيه الأصناف الثلاثة الممتازة، والتي اجتمعت في عين واحدة فأخرجت ملحا ممتازا أصله من الملح الأحمر والأصفر والأبيض، لذلك أخذت عنها برقة هذه الأصناف ودخل أوجلة تجارا كثر بفعل هذا المعدن، كما أخذت عنها لواتة[4] واستعملته في حفظ أغذيتها.

لتنفرد تغزة وهي مدينة تابعة لتونس في تصدير الملح إلى درعة ومنها إلى تمبكتو، وتغزة هذه كان بها عدد كبير من مناجم الملح التي شبهها الوزان بأنها مقالع الرخام لكثرتها وصلبة معدنها، فكانت تعتمد طريقة حفر الأكواخ لاستخراجه[5] ولذلك للحفاظ على الملح من العوامل الطبيعية من رياح ومطر، وقد وفرت المنطقة مناصب شغل لأهل المدينة وغيرهم من الوافدين لها، وهذا ما جعلها محطة تجارية مهمة في إنتاج وتصدير الملح في بلاد المغرب الأدنى.

كما تبادلت القيروان والمهدية الملح وشكلت هذين المدينتين محطة للإنتاج الملح وتصديره إلى سوسة وسفاقس وقابس[6] بعد أن ساعد القرب الجغرافي في تحسين إنتاج المنتوج الكبير وترويج له محليا.

---

(1) ـ مجهول، وصف افريقية من كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص15.

(2) ـ المقدسي، المصدر السابق، ص226.

(3) ـ مجهول، وصف افريقية من كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص45.

(4) ـ البكري، المصدر السابق، ص15 .

(5) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص108.

(6) ـ البكري، المصدر السابق، ص ص24، 29.

إلا أنه لا يمكن الجزم بأن المنطقة كانت تغطى كل احتياجاتها من معدن الملح رغم هذا الإنتاج الكبير، وخاصة وأن الملح كان يعتمد عليه كمادة حفظ لجميع أنواع الأغذية، لذلك نجد افريقية كانت تحتاج لإستراد الملح، ونجد أن الزهري ذكر أن افريقية كانت تسترد الملح من المجر[1].

وكلما غيرنا الرقعة الجغرافية كلما ظهر لنا ما مدى التكافل التجاري بين مناطق المغرب، فقد تكهفوا سكان جبل دادس واتخذوا من تلك الكهوف مركز للإنتاج الملح، وما يلاحظ على سكانها أن ملحهم كان مميزا لكنهم تداوله وتعامل به في المنطقة لكنهم لم يصدروه، وأكد ذلك الوزان[2] حين تحدث عن مدينة دادس وأنها لو كانت مجاورة لأحد المدن الإيطالية لغنمة هذه المدينة من قيمة المعدن ولأخذت سنويا خمسة وعشرين ألف مثقال فأكثر ربحا من متاجرتها بالملح، إلا أن سكان مدينة دادس لم يهتموا به بل تعاملوا به داخليا دون إخراجه لسوق الخارجية.

كما تاجرت أميرة الصحراء مدينة بسكرة في الملح بفضل جبل الملح الذي كالصخر الجليل، والذي قال عنه البكري[3] بأن عبيد الله الشيعي كان لا يضع في طعامه إلا ملح بسكرة وكان يأخذه معه في سفره ودعوته لتشيع وهذا ما جعله ينشر في بلاد المغرب لذلك طلبته سدراته وبنو مفزاوة وأهل بيت بنى الخرز وبنو بزمرتى، وكانت كلها قبائل وتجار يتنقلون في قوافل معبئة بالملح البسكري.

في حين أجمعت المصادر على أن فاس كانت تزاول التجارة الداخلية مع سكان المغرب الأقصى إلى جانب التجارة الخارجية، فكان يحمل منها التجار الملح من الملاحة بمجشر الشاطبي في وادي مكس بينها وبين فاس ثمانية عشر ميلا، فكان التجار يشترون من هذه الملاحة بجملة ويبيعونها بالتقسيط، وقد خصصت لهم دكاكين للبيع هذا المعدن

(1) ـ الزهري، المصدر السابق، ص128، 129.

(2) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص188.

(3) ـ البكري، المصدر السابق، ص52.

للناس[1]، ويدخل هذا في تنظيم الدولة للأسواق والحفاظ على مصداقية التبادل التجاري، الذي ظهر مفعوله ليس على المدن الكبرى فقط بل تسربت الظاهرة إلى المداشر والقرى الصغرى أيضا، فقد لمح الإدريسي إلى أن تبادل الملح بين قصر العطش ومنهوشة[2]، ولعل ذلك يعود للتواصل الجغرافي للمنطقتين.

ومما لا شك فيه أن بلاد المغرب شهد حركية تجارية على المعادن الأخر أيضا، حيث تجد التجار المغاربة أينما تذهب وفي كل الأوقات بمصر وأثيوبيا والجزيرة العربية وقد أحسنوا معاملتهم.

ب ـ تجارة المعادن الصلبة: وهي سبع المعادن السابق الذكر، أما في خصوص المتاجرة بهذه المعادن، فلم يذكر صاحب وصف افريقية أن تبسة كانت تتاجر بمعدن الذهب رغم أن المدينة كانت غنية به، وتحدث عن المغارة التي وجد فيها دنانير ذهبية نفيسة[3]، إلا أن هذه المعلومة لم تأكد في المصادر الأخر ولم يتم تعرف على صحتها، خاصة وأن المناطق المجاورة شهدت جفافا كبيرا في هذا المعدن.

ويمكن أن نتصور السمعة الحسنة التي ظفرت بها درعة وسط مثيلاتها من المدن المعدنية أن صح القول، وترجع هذه السمعة بالدرجة الأول إلى العلاقات التجارية لصاغة اليهود في المنطقة خاصة وإذا كان استراد الذهب بشكل كبير من تمبكتو وموريطانيا إلا أنه إلى حد كبير كانت هناك مركز تصدير داخلي لهذا المعدن وقد أكدت المصادر وجود عدد كبير من دكاكين الحلي الذهب في المنطقة وكانت كلها لليهود[4].

---

(1) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص234.
ـ علي الجزنائي، المصدر السابق، ص35.
(2) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص315.
(3) ـ مجهول، وصف افريقية من كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص50.
(4) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص119.
ـ المقدسي، المصدر السابق، ص231.

ومما لا شك فيه أن اليهود يميزون هذه المعادن ويحسنون التعامل معها، فقد تعامل يهود مدينة تييوت التابعة للإقليم السوس بالدينار الذهبي في تبادلتهم التجارية، وخاصة في تجارتهم للحلي الذي شهد رواجا كبيرا في بلاد المغرب الأقصى[1]، محاولة بذلك منافسة أسواق تيدسي وتكاووست[2]، أي أنها شهدت نموا تجاريا كبير على مستوى المتاجرة بالحلي.

في حين شهدت نقارة تبادل تجاري مع المناطق الحدودية لها مثل أغمات وسلجماسة ودرعة والنول الأقصى[3]، ولم تذكر لنا كمية التبر الذي كان يتعامل به ولا كيفية تصنيفه من ناحية الأسعار، وكل ما فهم هو أن للاتصال الجغرافي دورا في تكوين علاقات تجارية بين المدن المغربية.

وبهذا الاتصال الجغرافي استطاعت مدن حاضرة دكالة أن تتنافس في إنتاج كميات كبيرة من الحلي الذهبي، ويظهر هذا التميز في حلي النساء من مدينة تفزة الثرية ورجال أيت عتاب والجواهر الذهبية لمدينة أيت عياض[4]، فقد قدموا للناظر خليطا من التنوع الإنتاجي لمادة الذهب وكيفية استغلالها بشكل جميل.

وا ٍذا اتجهنا شمالا إلى مدينة الرومان دوسن نجدها غنية بقطع الذهبية والتي كانت بجاية تتخذ من هذه القطع ربحا لها في تعاملها التجاري خاصة وأنها كانت على علاقة دائمة بالتجارة الخارجية عن طريق البحر المتوسط[5]، لهذا كان على بجاية تكون علاقات تجارية من خلال استغلال مخزون دوسن الذهبي في تكون أرضية صلبة تستطيع الاعتماد عليها في الساحة الدولة التجارية.

---

(1) ـ حسن الوزان، الصدر السابق، ج1، ص115.

ـ مجهول، وصف افريقية من كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص31.

(2) ـ حسن الوزان، المصدر نفسه، ج1، ص119، 120.

(3) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص105.

(4) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص ص153، 188.

(5) ـ المصدر نفسه، ج2، ص141.

وثاني المعادن الصلبة الحديد الذي نال الصدارة بامتياز، فقد شهد هذا المعدن حركية كبيرة في بلاد المغرب، وذلك يرجع للإنتاج الجيد في صناعته من حدادة وا إسكافية خياطة وكلها حرف تعتمد على عنصر الحديد، وقد وجدت سوق في تدنست مخصصة لهذه الحرف، وقال عنها الوزان بأن فيها أكثر من خمسمائة دكان لصناعات الحديدية، وذكر التجار الذين لا يجدون أين يبتون فيقضون الليلة عند أحد الأصدقاء[1]، ومنه نتأكد أن التجار يقطنون في المدن المجاورة وقريبة ويقصدون إقليم الحاحا ومدينة تدنست لتجارة يوما أو أكثر من صناعات هذه المدينة والعودة في نفس اليوم.

كما حركة بونة أسواقها باستخراج الحديد من مناجمها وكانت لها علاقات تبادل تجاري مع الأربس التي بدورها كانت أهم مركز تصدير محلي للمعدن الحديد[2]، كما كان لها تصدير خارجي وما يلاحظ على هذا المعدن أنه كان ذو سمعة عالمية خاصة وأنه غطى كل الاحتياجات المحلية لبلاد المغرب، باختلاف منتوجاتها بين أسلاحة وسفن وأواني وغيرها.

ومن المعادن الصلبة التي شهدت تبادل تجاري داخلي في بلاد المغرب معدن الفضة، فقد تعامل سكان إداو عاقل أول قسم من الأطلس بنقود فضية حصل عليها اليهود من تجارتهم مع المدن المجاورة وقد عرف عنهم الثراء الكبير[3] نتيجة لمزاولتهم لصناعات العدنية وتسويقها.

كما نجد فزان قد استوردت الفضة من جبل جرجيس وهو كان من ضمن أقاليمها[4]، واستعان بهذا المعدن في صناعات المعدنية للمنطقة.

(1) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص98.

(2) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص291، 292.

(3) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص110.

(4) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص112.

ومن المعادن الصلبة أيضا كان النحاس بكل أنواعه وهو الذي شغل التجار ووصل هذا المعدن حتى عاصمة الخلافة الإسلامية، فلقد غطت طرابلس التجارة المحلية في بلاد المغرب الأدنى بتصدير منتوجات نحاسية من أواني وحلي وأسلحة وسروج للخيول[1].

كما استغلت تونس منجم الرصاص الواقع على بعد ثلاثين كيلو مترا جنوب شرقي تونس في تكوين علاقات تجارية مع مدن بلاد المغرب، وكان ذلك يظهر بوضح خلال فترة الحكم الصنهاجي للمنطقة[2]، والذي لم يترك معدن إلا وجني منه ربحا، سوء ببيعه دون تشكيل أو بتصنيعه.

في حين لم يظهر معدن القصدير على الساحة المحلية لتجارة الداخلية، ولعل ذلك يرجع لفقر الكبير الذي تشهد بلاد المغرب لمثل هذه المعدن، والأكيد أن النوع التجاري الوحيد لهذا المعدن هو الاستراد.

ج ـ تجارة الجواهر: أما عن هذا النوع من المعادن فقد كان المرجان أهمها وأكثرها حظا خاصة في لتجار الخارجية، كما شهد الشريط الساحلي حركية كبيرة في استخراج المرجان وا ٍدخاله للمدن الداخلية ليتم تصنيعه، فقد كانت أغمات من أهم المراكز التجارية الداخلية في بلاد المغرب عندما كان التجار يقصدونها في مسيرتهم نحو بلاد السودان، وكانت هذه المدينة بمثابة محطة لإفراغ السلع، وما يلاحظ على البضائع الداخلة لهذه المدينة الأصداف والمرجان[3] وخاصة وأن هذا النوع من المعادن لا ينتج إلا في البحر، لذلك تحتاجه المدن الداخلية في تزيين حليها وتطوير صناعتها، ونحن نعرف أن أغمات هي بوابة الصحراء التي تجمع بلاد المغرب بالسودان، فقد أكد الإدريسي أن تجارا من قبائل البربر قصدوا الساحل

(1) ـ أرشيبالد لويس، المرجع السابق، ص25.
(2) ـ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص254.
(3) ـ حمدي عبد المنعم حسين، المرجع السابق، ص351.

لتحميل الجواهر والعودة بها إلى أغمات وكانت هذه المنتوجات تتمثل في الأحجار والأصداف والزجاج والمرجان[1].

ويمكن أن نتصور أن التجار كانوا يحملون هذه الجواهر بشكلها الطبيعي، أي أنها غير مصنعة ويقصدون بها الدكاكين الصحروية أين كان الانتشار الكبير لليهود، الذين تفننوا في صناعة الحلي والصناعات الزوجاجية، ثم يقومون بتصديرها للمدن السودانية المتصلة بها جغرافيا.

كما شهدت مدينة تارودنت حركة تجارية كبيرة بعد أن أصبحت محطة للقوافل القادمة من الجنوب، خاصة من خلال موقعها على الشريط الساحلي فشكلت بذلك همزة وصل بين المدن الساحلية والأقاليم الداخلية[2] في أخذ المخزون البحر من الساحل وتوزيعه على المدن الصحراوية وعلى المدن الجبلية التي تفتقر لمثل هذه المعدن لهذا وجدت البراعة اليدوية في جبال الأوراس، فقد تعددت حوانيت السياغ والجواهري وكانت تصدر منتوجها إلى المناطق الخارجية[3] بعد أن كانت هي تستورد مثل هذه المعادن وتقوم بتصفيتها تعدينها أي تعرضها للنار لتصبح جاهزة لصنع.

2 ـ التجارة الخارجية:

وهي النوع الأكثر حركية من سابقتها فقد ساعدت الفتوح الإسلامية في تكوين علاقات تجارية بين تصدير وا ٍستراد وأكثر المعادن حركية هي كالتالي:

أ ـ تجارة الملح:

وهو المعدن الذي بالسمعة الجيدة والحسنة عند السودانيين وغيرهم، وذلك نتيجة لتحركه الدائم في الأسواق المغربية، هذا ما جعل المناطق التي تفتقر له تطلبه بكل الأثمان.

---

(1) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص232.

(2) ـ حمدي عبد المنعم حسين، المرجع السابق، ص352.

(3) ـ البكري، المصدر السابق، ص153.

ومن المدن المسيطرة عليه نجد مدينة تفتنة على البحر المحيط إلى المدن البرتغالية تصدر الملح، وقد ساعدها في تجارته حركة الملاحة وركوب أهلها البحر، فقد استعانة المدينة بمينائها في تكوين علاقات تجارية مع الدول الأوروبية[1]، مستغلة بذلك صناعتين الأول إنشاء السفن وصناعة الثانية تكوين سوق بحرية من خلال فرض الضرائب على الملح الخارج من المدينة.

وفي هذا الجزء من بلاد المغرب الأقصى كانت مدينة غانة لها اتصال تجاري بمدينة أودغست في شمالها، فكان التجار لا يفرقونها ليلا ولا نهارا[2]، وجاءها تجار السودان محملين بالذهب ويقايضوه بملح أودغست، حتى قيل أن لكثر التجار لا تفرق بين أهل المدينة والوافدين لها.

وا إذا اتجهنا شمالا نجد فاس تتاجر في الملح بالجملة للتجار وهم بدورهم يقومون ببيعه بالتقسيط أو بيعا بتجزئة وكان يحمل منه إلى البقاع الكثيرة[3].

وقد استغل عمال أجانب في استخراج الملح من تغزة (تغازي) Taghaza وكانوا يعتمدون طريقة إنشاء أكواخ في حفر الملح للحفاظ على النوعية، وكان هؤلاء العمال يأتون مع القوافل ويقيمون في هذه المدينة حتى تأتي قوافل تمبكتو ويحملونها الملح الكثير، فكان كل جمل يحمل أربع قطع من الملح ويقصد بها صحراء تمبكتو[4]، ولعل هذا الطلب الكثير على ملح المغرب الأقصى يعود إلى النوعية الجيدة في حفظ الطعام من العفن خاصة وأن المدن الصحراوية تكون ذات درجات حرارة عالية تسرع من تلف الطعام والملح يحافظ على المادة الغذائية من التلف، لذلك سيطر تجار تمبكتو على مدينة تغزة، كما أن سمعة أهل

---

(1) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص108.
(2) ـ ابن حوقل، المصدر السابق، ص48.
ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص108.
(3) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص234.
(4) ـ المصدر نفسه، ج2، ص108.

المنطقة في حفظ الموازين كان من أهم العوامل في تحسن العلاقات التجارية وزاد من نشر الإسلام في تمبكتو.

وبفضل هذه السمعة الجيدة في التعامل استغلت مصر الظرف في استراد الملح من قرطاجة، وخاصة عندما خصصت له دار صناعة وقد سئل عنه عبد الملك بن مروان عن قيمة[1]، وبتحدث عن قرطاجة فقد شكلة هذه المنطقة برحا اقتصاديا للمغرب من خلال المراسي البونية، حيث سيطرت على المحطات الساحلية على طول أربعون كليو متر من خليج قابس إلى طنجة، تجتاز هذه المسافة في يوميان على البحر[2]، مشكلة بذلك سلسلة ساحلية لموانئ تجارية ومتصلة بأسواق دائمة الحركة، وقد ذكر البكري عن هذه الموانئ وتصدير الملح من قرطاجنة إلى المدن الإيطالية الرومية عن طريق السفن الإفريقية الدائمة النشاط[3].

وقبلها كانت تونس والمنستير تشحن الملح في السفن بفضل ملاحة الأخيرة التي كانت تستخرج الملح ليلا ونهارا، وهذه الملاحة أعظم سبخة لتونس والتي أحطتها الأسواق لكثرة حركة التجار فيها، وكانت السفن لا تغيب عن هاتين السبختين[4].

كما كونت الواحات علاقات تجارية مع بلدان السودان الأوسط ويعود الفضل في ذلك للملح الممتاز العالي الجودة، فقد أخذه التجار السودانيين بأثمان باهظة حيث بلغ حمل الجمل من الملح مابين 125 و150 كلغ وهو ما يساوي في غانة قيمته ما بين مائتين

---

(1) ـ ابن أبي دينار القيرواني، المصدر السابق، ص20.

(2) ـ فرانسوا دوكريه، المرجع السابق، ص94.

(3) ـ البكري، المصدر السابق، ص42.

(4) ـ المصدر نفسه، ص ص36، 40.

وثلاثمائة دينار[1]، وهذا المبلغ يوحي بأن الملح المغربي نال هذا مكانه الاقتصادية بفضل نوعيته الجيدة.

لهذا نجده تساوى في قيمته مع الإنسان، فقد تبادل التجار مدينة شنقيط في إقليم السوس الأقصى بالمغرب بالعبيد السودان، وقد قبل أن العبد الواحد يساوى حجم حذاء من الملح[2]، كما استغلت فاس المناطق الساحلية للبحر الأبيض في تسويق ملحها وكونت دكاكين ملح في الشريط الساحلي يعود الربح فيها إليها[3]، لتشهد بذلك هذه المدينة سلسلة تجارية من مدينة سلا إلى التكرور وبريسى إلى السودان، وكانت هذه السلسلة بحرية حيث كانت المراكب تنطلق من هذه الجزر إلى أن تصل لسودان كمركز لتفريغ الملح، وتوزيعه على المدن الداخلية ومنها إلى موقع النيل[4]، وهو النهر الذي تتخذ فيه السفن الصغيرة للدخول إلى وسط إفريقيا.

كما شهدت مصر أيضا تجارة برية لمعدن الملح الذي كانت تأخذه من أوجلة وطرابلس، فقد كان التجار يخصصون قوافل تجارية خاصة إلا بمعدن الملح دون غيره من المعادن، كما كان يرفع معه معدن الشب[5]، وهذا لقربه في النوع والمظهر وخاصة من سرت[6] لذلك كان يحمل مع الملح في نفس القافلة.

فقد وصلت قيمة الملح المغربي وخاصة ملح المغرب الأقصى لدرجة المقايضة به في قيمة الذهب والفضة، فبعد أن تم مقايضته بالعبيد جعل ملثمين الصحراء هؤلاء العبيد يشتغلون في مناجم الملح واستخرجه في شكل ألواح، وقطعوه قطعا صغيرة يقدر على حملها

---

(1) ـ محمد بن ساعو، التجارة والتجار في بلاد المغرب الإسلامي (في القرن 07 ـ 10هـ / 13 ـ 15م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف مسعود مزهودي، قسم العلوم الإنسانية شعبة التاريخ، جامعة الحاج لخضر باتنة، 1345هـ، 2014م، ص154.

(2) ـ علي إبراهيم طرخان، غانة في العصور الوسطى، الهيئة العامة للمكتبة، القاهرة، ص67.

(3) ـ علي الجزنائي، المصدر السابق، ص35.

(4) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص17.

(5) ـ البكري، المصدر السابق، ص ص8، 15.

(6) ـ ابن حوقل، المصدر السابق، ص71.

الجمل، وكان الحمل الواحد يباع في أيوالاتن وهي مدينة سودانية بعشرة مثاقيل من الذهب، أما مالي فقد باعت الملح المغربي بعشرة مثاقيل وزدتها إلى ثلاثين عند زيادة الطلب عليه[(1)].

وقد شهد لتاريخ على قيمة هذه المعدن وخاصة من بلاد المغرب الأقصى، ودليل ذلك ارتباط مدينة أودغست ارتباطا وثيقا بالمدن السودانية، وقايضة هذه الأخيرة بالذهب الوا رد للمغرب والملح الصادر منها وأصبح هذا الأخير كعملة لتبادل التجاري في الأسواق المغاربية[(2)].

وكثرة الطلب على ملح هذه المدينة كان نتيجة لكثرة الاستهلاك في إفريقيا جنوب الصحراء، فقد كانوا يملحون به أطعمتهم ويستعملونه لتجفيف الأسماك والأطعمة سكان نهر النيجر، حتى أن بعضهم كان يستعمله كقطع صغيرة يلعق منها (يلحسها) أثناء تناوله الخبر وذلك حتى لا يستهلك الكثير منه[(3)]، وهذا يوضح لنا ما مدى انتعاش التجارة وتحرك اقتصاد بلاد المغرب نحوا نموا أفضل بفضل قيمة ملحها.

ب ـ تجارة المعادن الصلبة والجواهر:

وا ٍلى جانب تجارة الملح كانت التجارة الخارجية للمعادن الصلبة والجواهر، وذلك يعود إلى دور التجار الذين أينما ذهبت تجدهم في مصر وأثيوبيا والجزيرة العربية وبلاد فارس والهند وتركيا، وحينما ذهبوا أُحسن استقبالهم وا ٍكرامهم لأنهم جميعا خبراء وماهرون في المهن التي يمتهنونها[(4)].

---

(1) ـ سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص16.

(2) ـأحمد محمد إسماعيل أحمد الجمال، تاريخ مدينة أودغست ودورها في حركة التجارة بين المغرب وا ٍفريقيا جنوب الصحراء (السوداني الغربي)، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، حولية الثامنة، الإسكندرية، 1426هـ، 2008م، ص57 .

(3) ـ محمد بن ساعو، المرجع السابق، ص154.

(4) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص86.

وخاصة وأن هذاالنوع من التجارة في المعادن الصلبة والجواهر كان يُعتمد عليها جاهزة، أي أنه يصنع ثم يصدر على عكس الملح الذي يستخرج ويصدر في حينه، لذلك انتشرت شهرة الصناع والحرفيين المغاربة في المدن سابق الذكر.

فلقد حُمل المرجان من مدينة طرفة التي كانت لها مرسى ودار للصناعة السفن ويقال أن السفن كانت تصل إلى باب المدينة[1]، لأخذ هذا المعدن وهذا يوضح صورة التجارة الخارجية للمدينة خاصة مع دول بحر المتوسط.

كما حمل هذا المعدن من مرسى الخرز على مقروبة منها إلى جميع البلاد، وقد وفر هذا المعدن مناصب شغل للأهل المنطقة الذين حسن حالهم حين أدخلوا مراكبهم وزوارقهم في استخراج هذا المعدن[2]، واستطاعوا بهذه المراكب تحريك اقتصاد المدينة في تلك الفترة، وقد قيل أن أحسن مرجان كان في هذه المنطقة حيث يلتقى البحرين المالح والعذب فيخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والبرزخ، ومن حكمة الخالق أن البحرين إذا التقي أخرج أفضل أنواع الجواهر[3]، رغم أن البحرين لا يختلطان لحكمة من الله تعالى.

وقصد بهذين البحرين، البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي فحين يلتقي في مدينة سبتة في بلاد المغرب الأقصى، وهي أيضا أكبر المراكز التجارية المصدرة لمعدن المرجان، وكان بها أسواق لتفصيله وحكه وصنعه خرزا وثقبه وتنظيمه ومنها ويتوجه به إلى سائر البلدان، وأكثر ما يحمل إلى بلاد السودان وغانة التي تستعمله كثيرا[4].

وقد أكد قيمة هذا المعدن مجموعة من المصادر في أن مرجان بلاد المغرب لا يعلا عليه، وخاصة مرجان افريقية ومرسى الخرز الذي يتاجر به إلى بلاد المشرق واليمن والهند

(1) ـ مجهول، وصف افريقية من كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص16.

(2) ـ المصدر نفسه، ص16.

ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص290.

ـ المقدسي، المصدر السابق، ص239.

ـ ابن حوقل، المصدر السابق، ص76.

(3) ـ المقدسي، المصدر السابق، ص16.

(4) ـ ابن أكفاني، المصدر السابق، ص88.

والصين وسائر البلاد، حيث لا يوجد أفضل من هذا النوع في جميع الأرض، خاص أن فيه كبير والكثير والجيد والمتين[1].

في حين استفاد القوط اللؤلؤ من مدينتي مليلة وبجاية، حيث كانوا يصطادون الأصداف ويتاجرون بها ويأخذون الأرباح لهم[2]، وربما كان هذا الاصطياد نوع السوط والغصب على أهل المدينة وأخذ اللؤلؤ بقوة، خاصة وأن القوط عرف عنهم البطش والعنف في التعامل.

كما اشتهرت سلجماسة بسمسمها الجيد والذي يحمل جميع الألوان، فقد توجها إلى هذه المدينة الصحراوية تجار فاس وأغمات وأخذ هذا الجوهر وتعامل به مع تجار السودان ونالوا من ربحا كثيرا[3].

وبزيادة حب الناس لمثل هذه الجواهر تزداد معها الرغبة في التصنيع ومعها تتسع رقعة معرفة المعدن، فقد ثار سكان مدينة العناب (بونة) على ملكهم حين منعهم من جمع المرجان الذي يلتقط على الشواطئ، واعتبروها أنها أحد الحيل التي يعتمدها الحكام في فرض سيطرتهم على حرف، بدعوة حماية المعدن من القرصنة، لذلك فرضت بنزرت الحماية البحرية على مرجانها واتخذت من صيده أوقات منظمة[4]، وذلك حفاظا على مكانته في السوق المحلية ومعها زيادة الطلب عليه في الأسواق الخارجية.

---

(1) ـ مجهول، وصف افريقية من كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص17.
ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص529.
ـ ابن حوقل، المصدر السابق، ص79.
ـ سراج الدين الوردي، المصدر السابق، ص13.
(2) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص341.
ـ مجهول، وصف افريقية من كتاب الاستبصار، المصدر نفسه، ص21.
(3) ـ ابن حوقل، المصدر السابق، ص90.
(4) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص ص62، 68.

في حين لم تجد كتامة من سبيل لدخول السوق الدولية إلا من المتاجرة بمعدن اللازورد[1]، الذي لا يوجد له موضع إلا في هذه المدينة، لذلك كان لكتامة الحق في تحديد أسعاره خاصة مع تطور العلاقات السودانية التي تفتقر لمثل هذه الجواهر.

وا ٕذا قلنا أن المناطق الساحلية كانت تصدر المرجان ومعظم الجواهر فهذا لا يعنى أن المناطق الداخلية والصحراوية لبلاد المغرب لا تحتاج إلا مثل هذه الجواهر، خاصة وأن المعادن الصلبة لا تنال بهائها إلا بلمسة من معدن الجواهر، لهذا ضممت العنصرين في الحديث عن تسويقهما معا.

فقد تبادلت مدينة تيهرت الصحراوية الحبوب، والتمور، والألبسة، والأواني الزجاجية، بالذهب والأحجر الكريمة من الجواهر النفيسة المحملة في القوافل التجارية القادم من بلاد السودان[2]، خاصة وأن المدينة كانت منطقة عبور للقوافل ومحطة للتبادل التجاري، لذلك شهدت تيهرت فقرا كبير لهذه الجواهر، وخاصة وأن الصناعة المحلي كانت تعتمد عليه في تزيين الحلي.

كما أدى تطور الصناعة المعدنية في بلاد المغرب إلى تطور اقتصادها وهذا التطور بفضل وفرة مواد الخام وكثر الطلب عليها، وفي مقدمتها الحديد والنحاس فقد اشتهرت أغمات بصناعة بعض الألات الحديدية التي كانت تصدرها إلى بلاد السودان[3]، كما تطورت تجارة الحديد في جبل وردان من ناحية فاس، حيث شكلت المدينة علاقات تجارية بحرية بإنشاء دار صناعة السفن في فاس، وتكوين سلسلة تجارية بعلاقاتها الخارجية مع

(1) ـ البكري، المصدر السابق، ص33.

(2) ـ سنوسي عبد الفتاح وبلمعبدي محمد الأزهري، دور التجار المغاربة في نشر الإسلام بالسودان الأوسط والغربي (في القرن 3 و7 هـ/ 9 و13م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس، المشرف خالدي مسعود، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2003م، 2004م، ص12.

(3) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص232.

بلاد السودان[1]، وذلك بمتاجرتها في الأسلحة من سيوف ورماح التي كانت تصدرها مدينة السوس إلى المدن السودانية، ويعود الفضل في ذلك إلى حديد الجيد[2].

وما يلاحظه القارئ في هذه العلاقات المعدنية إن صح التعبير أن المدن المغربية لم تفوت معدن إلا وتاجرت فيه، فقد استغلت الفرصة مدينة أغمات في ظل حركية التجارة السودانية، وأخرجت معدنها الأحمر النحاس، وقد وصف الإدريسي[3] تلك القوافل وصفا دقيقا وهي تتوجه إلى أغمات: " إنها محملة بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الأموال من النحاس، ولقد عاد النشاط التجاري بالربح الوفير على تجار أغمات الذين بعثوا بقوافلهم وعبيدهم إلى السودان".

أما واردات بلاد المغرب من أرض السودان فكانت مجملها تظهر في الذهب والعاج والصبغ والرقيق[4]، وهم من هذه الوردات هو معدن الذهب الذي ظل سرا مكتوما لأهل السودان، خاصة في إنتاج كبيرة تخولها لتصدير الضخم لمدن المغرب العربي، فكان هذا المعدن يحمل من عدة مقالع تظهر منطقة بامبوك، وهي مدينة تقع بين نهر السنغال الأعلى وفرعه الفاليمي، كما تنتج مدينة بوري الذهب وتجمع نهر النيجر الأعلى بفرعه تنكيسو، ومعدن لوبي هي في الفولتا الأعلى، وكان في مدينة أخر في الساحل يقال لها أشانتي[5]، يعود الفضل إلى هذه المدن في تصدير هذه الكميات الكبير من معدن الذهب إلى كل دول العالم، ويظهر ثراء السودان في ملكها المالي منسي موسى ورحلة الحج.

ولا يمكن أن نغفل على أن المغاربة استوردوا معدن القصدير الذي لم نسمع له حس، فقد ذكر ابن خلكان أن أمير يحي استعان بالقصدير في تسليح جيش من خلال السروج

---

(1) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص346.

(2) ـ المصدر نفسه، ج1، ص115.

(3) ـ الإدريسي، المصدر السابق، ص232.

(4) ـ سنوسي عبد الفتاح، المرجع السابق، ص20.

(5) ـ أحمد محمد إسماعيل أحمد جمال، المرجع السابق، ص55.

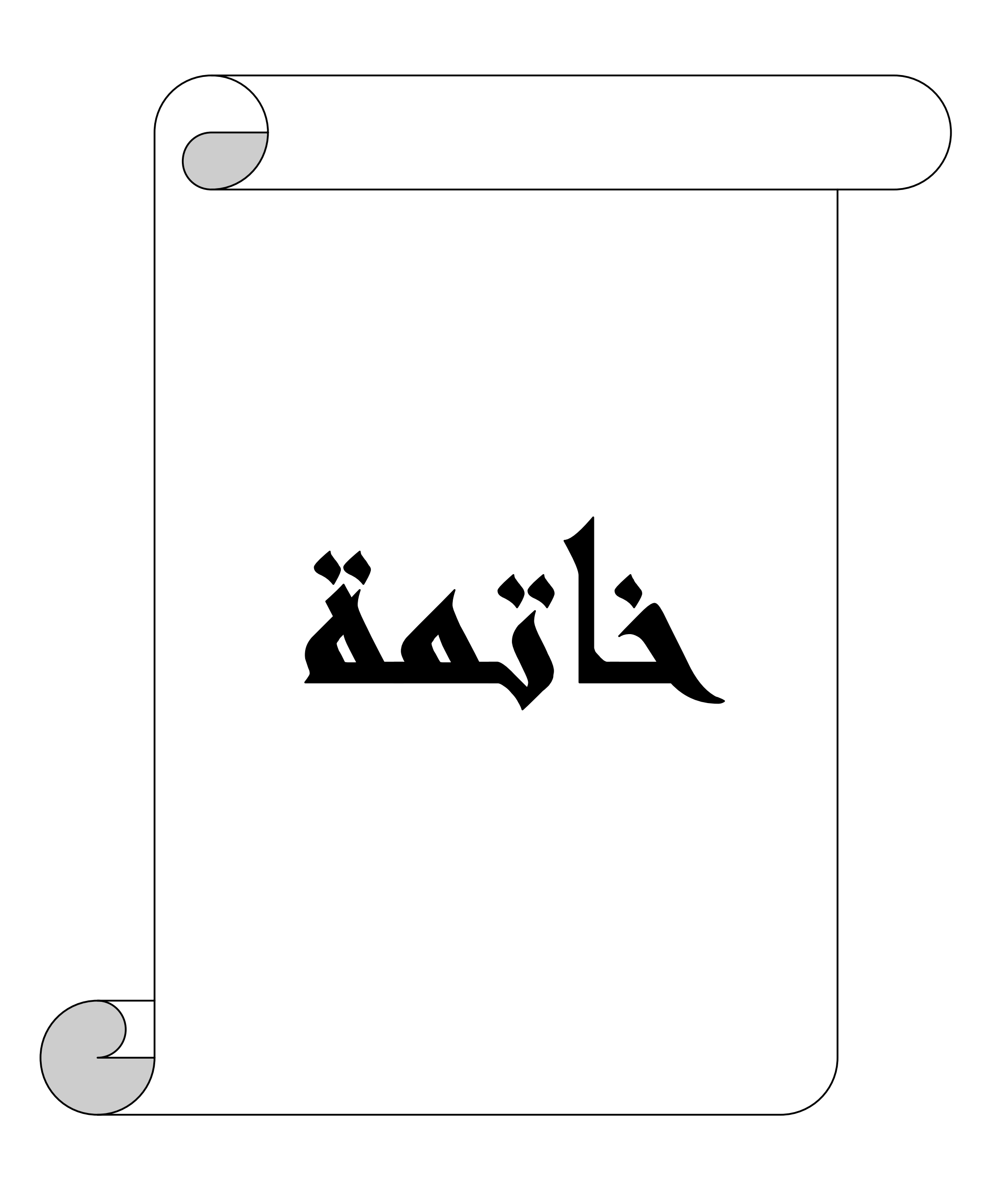
والبنود والقباب والأواني[1]، ورغم أن المناطق لم تذكر أن في بلاد المغرب معدن القصدير كما لم تذكر أن هذا المعدن كان من المواد المستوردة.

وما يمكنا القول عن المعادن المغربية أنها استطاعت أن تحرك عجلة الاقتصاد، وذلك من خلال علاقاتها التجارية مع الدولة المتصلة بريا ببلاد المغرب، إضافة إلى المناطق ما وراء البحر، وذلك بفضل الأسطول البحري المسيطر على البحرين الشمالي وغربي لقارة الإفريقية، ومكنها ذلك من توسع مساحة الرقعة الجغرافية لأرض الإسلام.

فقد تمكنت الدول الفاطمية من أن تستخدم المعادن في صنع أسلحتها الحربية لفتح مصر[2]، وشهدت فترتهم رخاء اقتصادي كبير يعود فيه الفضل الكبير للمعدن المغربي.

(1) ـ ابن خلكان، المصدر السابق، ج6، ص213.

(2) ـ أرشيبالد لويس، المرجع السابق، ص ص19، 28.


خاتمة

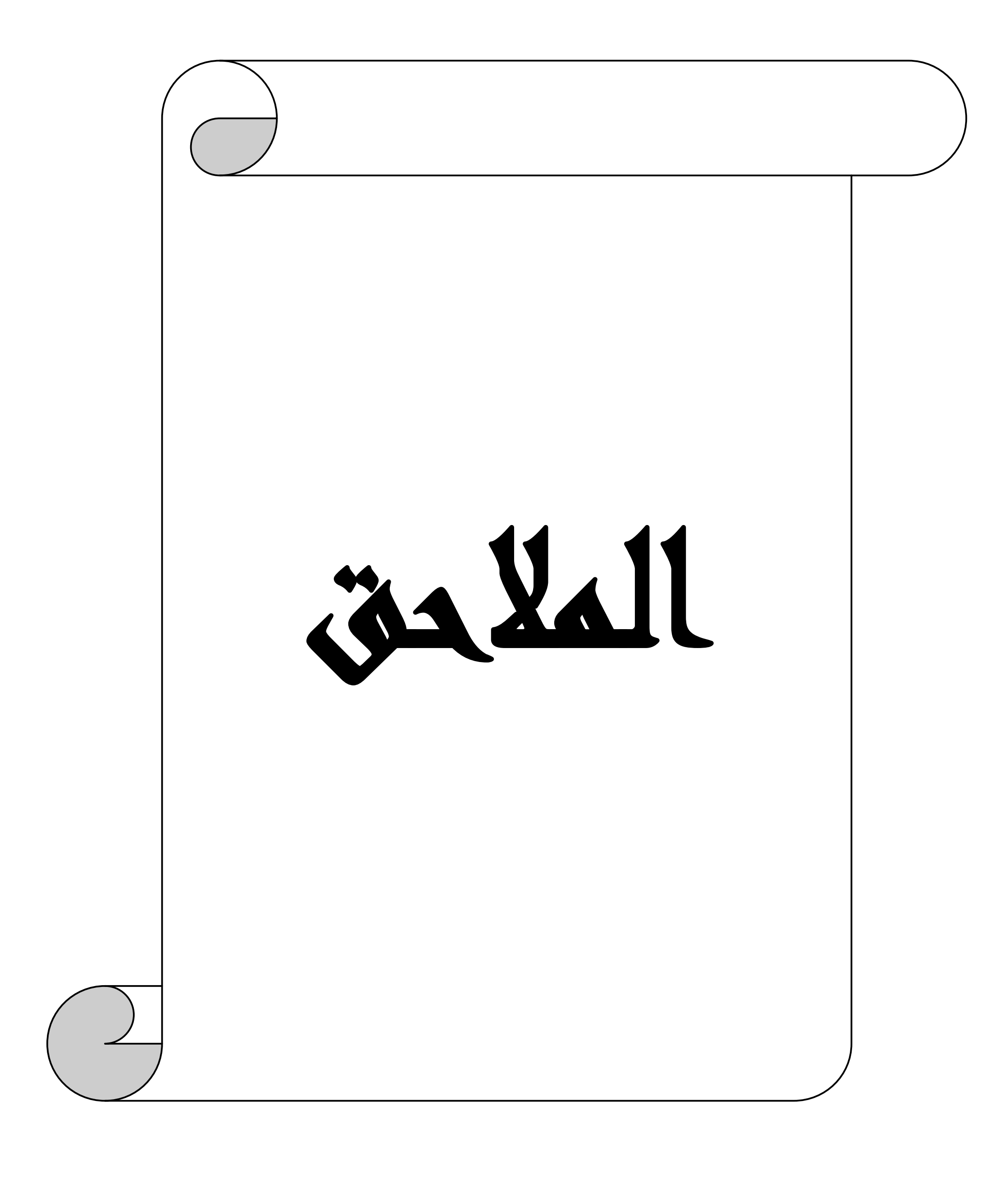
من خلال دراستي لهذا الموضوع توصلت إلى عدة نتائج واستنتاجات، أهمها يظهر من خلال دراستي لتضاريس هذا الموقع ومعرفة التباين الجغرافي، فقد زخرت بلاد المغر ب بتنوع بيئي كبير ساعدني هذا العنصر في معرفة طبقات الأرض وتباين الجبال ومساحة السهول والتعرف على أهم الوديان والأنهار وتوزع الأبار والسدود وحساب المسافة والأبعاد بين المدن والقرى.

وقد ساعدتني دارسة التضاريس في تقسيم المعادن ورسم خريطة جغرافية لها من خلال التنقل عبر المدن والحواضر، فقد اقتنعت أن للمعادن أنواع وذلك حسب مكان تواجدها، فالمعادن الصلبة لا توجد إلا في التربة السوداء أو الطبقة الصلبة من الأرض وهي بذلك معادن برية نتيجة لانتشارها في البر، على عكس المعادن المائية أو البحرية أي الجواهر النفيسة والتي يسهل علينا إيجادها بتتبع الشريط الساحلي البحري بشقيه المتوسط والأطلس كما استنتجوا أنها تكثر أيضا في الآبار المنتشرة في طرق القوافل والتي لا يضاهي قيمتها أي معدن أخر، بينما توصلت إلى أن هناك معدن يشترك في الاثنين معدن الملح الذي يجمع بين البر والبحر وذلك في مكان تواجد فهو ينشاء في بحيرة مالحة ظهر ملحها على الشطوط بعد جفافها.

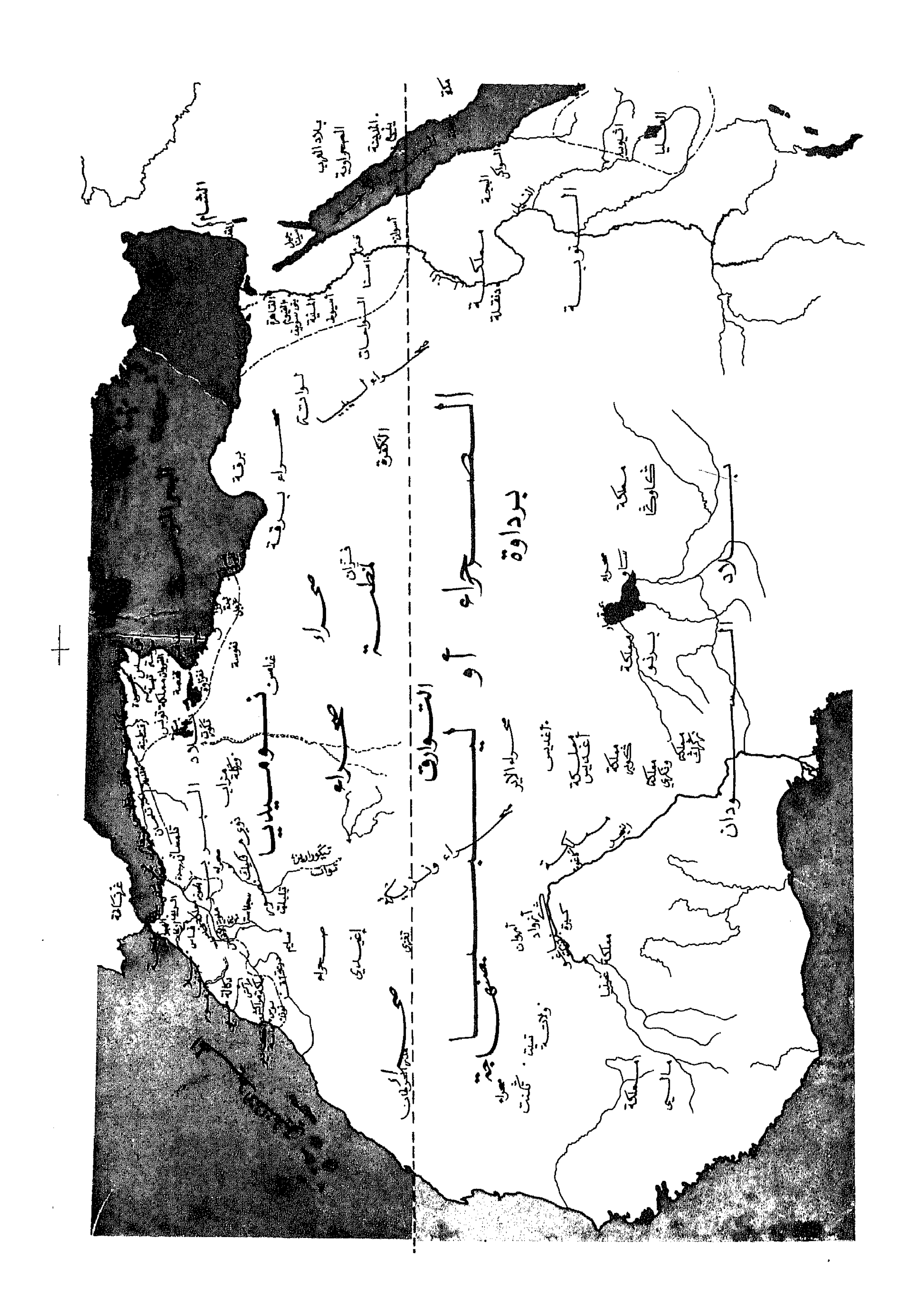
كما توصلت إلى دور المعادن في تحريك عجلة الاقتصاد، فقد تحصلت من خلال دراستي لهذا العنصر على الحرف المعدنية التي كان معظمها سيطر عليها العنصر اليهودي ليس هذا احتقارا لأهل المغرب إلا أنهم لم يصلوا إلى كفاءة اليهود، حيث تواصلت المدن المعدنية مع بعضها البعض ويظهر ذلك في تكوين علاقات تجارية كبيرة، وهذا ما شجع بلاد المغرب على انفتاح التجاري كونت من خلاله المدن مكانتها بين الشعوب، حتى وصلت قيمة الملح المغرب إلى أعلى المراكز وسوي مع الذهب والعبيد السودانيين.

وهذا ما جعل بلاد المغرب محل أطماع دائما، يطمح الجميع في السيطرة على ثروته المعدنية، فقامت بفضلها حروبا ومعارك وغزوات سلبت فيها الأرواح والأراضي في سبيل حصد الغنائم من الحلي والصياغة، منذ العهد الروماني والفينيقي إلى العهد الإسلامي.

لهذا رأيت في هذه الدراسة طابعا جديدا فإذا كانت الدراسات السابقة تبحث في المعارك كان موضوعي هو حصد نتائج وأسباب تلك الحروب على الصعيد الاقتصادي، فهو يخرج من نطاق ضيق إلى مساحة أوسع فموضوعي يعود بالقارئ إلى حقبة تاريخية رائعة من خلال كتب الرحالة و الجغرافيين ويسافر باحثا عن المعادن بين جبال وسهول وهضاب، يعايش من خلالها حضارات ومدن قرى ويتعلم لغات وللهجات مختلفة تقدم له في صورة جميلة لتعرفه بتحف فنية معدنية تسابق النساء والرجال في اقتنائها.

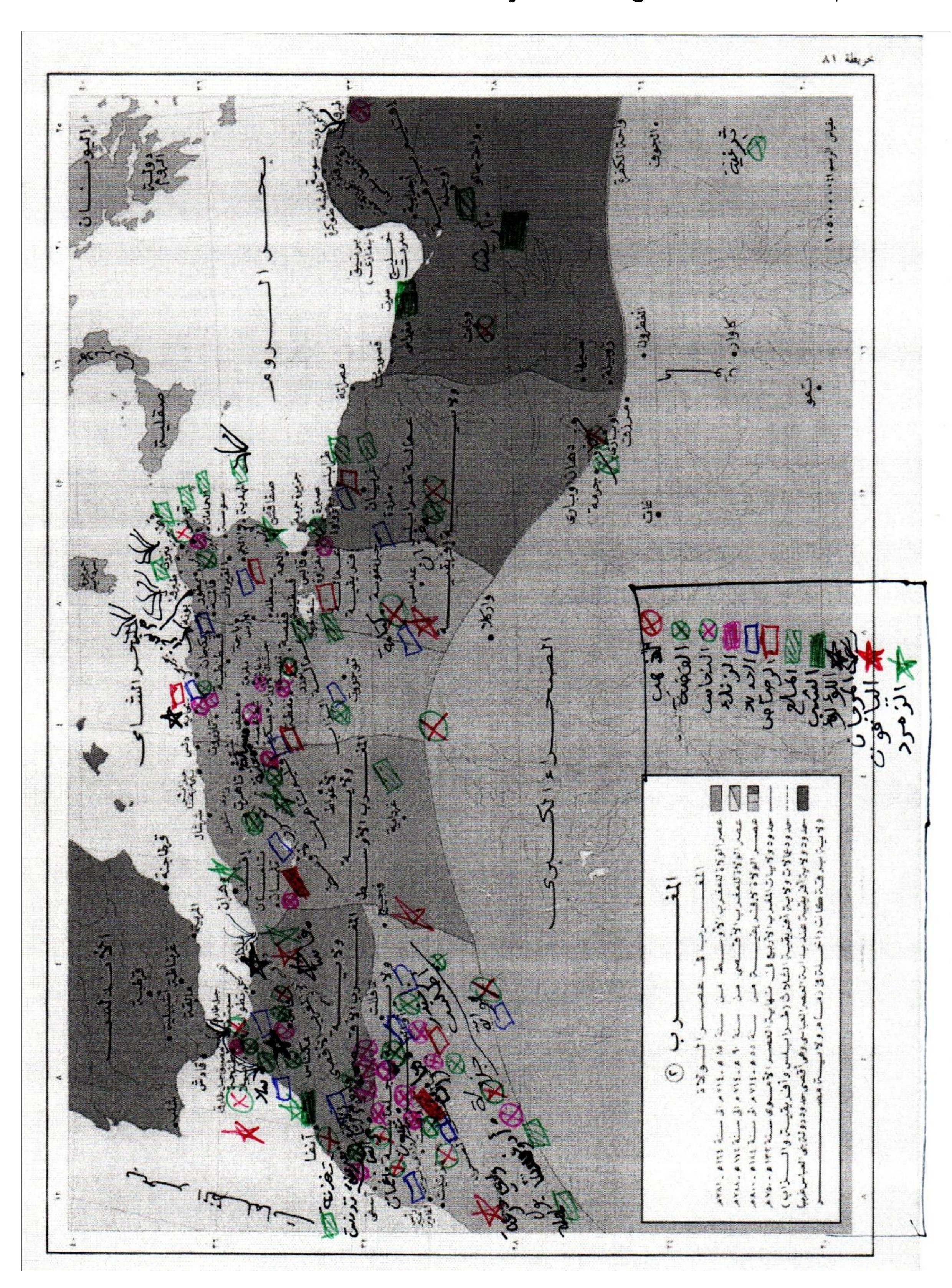

الملاحق

الملحق رقم (1): جغرافية بلاد المغرب الإسلامي



(1) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، ص 15.

الملحق رقم (2): **جغرافية توزع المعادن في بلاد المغرب**



(1) حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987م، ص 158.

الملحق رقم (3): **بعض أشكال المعادن**



أقراص المرجان



الأزورد



الألماس



زمرد



زبرجد

(1) ـ http://ar:wikip ediy.org/wiki/



الشب



زمرد



عقيق



لؤلؤ

(1) ـ http://ar:wikip ediy.org/wiki/



مرجان طبيعي



عقد من المرجان



ياقـــــــوت

(1) ـ http://ar:wikip ediy.org/wiki/

قائمة

المصادر والمراجع

المصادر:

1 ـ القرآن الكريم.

2 ـ الرازي زين الدين الحنفي (ت 666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية للنشر، بيروت.

3 ـ المالكي أبي بكر عبد الله، رياض النفوس، حققه: بشير البكوش، راجعه: محمد العروسي المطوي، ط2، دار الغرب الإسلام، 1414هـ، 1994م.

4 ـ مجهول، وصف افريقية من كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نسخة مخطوط.

5 ـ بن الوردي سراج الدين أبي حفص عمر، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، نسخة مخطوط.

1) ـ قائمة المصادر المطبوعة:

1 ـ ابن الأثير علي بن أبي الكرم محمد، الكامل في التاريخ، مرجعة: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العام، بيروت، 1407هـ، 1987م.

2 ـ أفندي ابكاريوس يوحنا، قطف الزهور في تاريخ الدهور، ط2، طبع في بيروت، 1885م.

3 ـ ابن الأكفاني محمد إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري [ت 749هـ]، نخب الذخائر في أحوال الجواهر، دار صادرت للنشر، بيروت، 1939م.

4 ـ إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، تحقيق: عارف تامر، منشورات عويدات، بيروت، 1415هـ، 1995م.

5 ـ بن عبد الله أحمد، إخوان الصفا وخلان الوفا (رسائل إخوان الصفا)، مطبع نخبة الأخبار، بهيندى بازار، 1305هـ.

6 ـ الإدريسي أبي عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ، 2002م.

7 ـ الإصطخري أبواسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي، مسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1927م.

8 ـ ابن بطوطة شمس الدين، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار)، حققه: عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملك المغربية، الرباط، 1417هـ، 1997م.

9 ـ البكري أبي عبيد (ت 487هـ)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، مكتبة المثنى للنشر والتوزيع، بغداد.

10 ـ البلاذري أبي العباس أحمد، فتوح البلدان، حققه: عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1407هـ، 1987م.

11 ـ البلوي خالد بن عيسى، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق: الحسن بن محمد السائح، مطبعة فضالة، المغرب.

12 ـ البيروني، الجماهر في معرفة الجواهر، نسخة الكترونية.

13 ـ الجزنائي علي، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، حققه: عبد الوهاب ابن منصور، ط2، مطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ، 1991م.

14ـ ابن حوقل أبي القاسم النصيبي صور الأرض ، منشور ات مكتبة الحياة ،بيروت، 1992 م.

15 ـ ابن خرداذبه أبي القاسم عبيد الله، المسالك والمملك، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، 1889م.

16 ـ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1421هـ، 2000م.

17 ـ ابن خلكان أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان وأبناء أنباء الزمان، حققه: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

18ـ ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب روض القرطاس، طبع في بدار الصناعة المدرسية، أوبسالة،1823م.

19 ـ الزهري أبي عبد الله محمد، كتاب الجغرافية، حققه: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر.

20 ـ ابن زيدان عبد الرحمن، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية للنشر، الرباط، 1356هـ، 1937م.

21 ـ ابن سعيد المغربي أبي الحسن علي، كتاب الجغرافيا، حققه: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970م.

22ـ ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج س كولان و إليقى بروقنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983 م.

23 ـ أبو الفداء عماد الدين، تقويم البلدان، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت.

24 ـ القزويني زكرياء ابن محمد بن محمود، أثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت للطباعة، بيروت، 1979 م.

25 ـ القلقشندي أبي العباس أحمد، صبح الأعشى، مطبعة الأميرية للطبع، القاهرة، 1331هـ، 1913م.

26 ـ القيرواني ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية بمحاضرتها المحمية، 1286 هـ.

27 ـ مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، طباع ونشر دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

28 ـ المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي

29 ـ المسعودي أبي الحسن بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، راجعه: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، 1425هـ، 2005م.

30 ـ المقدسي شمس الدين، أحسن التقاسيم في معرف الأقاليم، ط2، دار صادر، بيروت، 1906 م.

31 ـ مقديش محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: على الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، 1988م.

32 ـ الناصري أبو العباس أحمد، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب للنشر، الدار البيضاء، 1954م.

33 ـ النميري ابن الحاج، فيض العباب، إعداد: محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

34 ـ الهمداني أبي محمد الحسن بن أحمد (ت 280 ، 340 هـ)، كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء (الذهب والفضة)، تحقيق و دارسة: أحمد فؤاد باشا، مطبعة دار الكتاب والوثائق القومية، القاهرة، 1430هـ، 2009م.

35 ـ الوزان حسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1983 م.

36 ـ بن يوسف الحكيم أبو الحسن علي، الدوحة المشتبكة في ضوابط السكة، تحقيق: حسين مؤنس، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1378هـ، 1958م.

قائمة المراجع:

1 ـ أحمد موسى عز الدين عمر، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق، 1403هـ، 1983م.

2 ـ إدريس الهادي روجي، الدولة الصنهاجية من القرن 10 إلى القرن 12 م، ترجمة : حمادي الساحلي، دار الغرب إسلامي للنشر، بيروت، 1992 م.

3 ـ بازامه محمد مصطفى، ليبيا، ط2، مكتبة قورينا للنشر والتوزيع، بنغازي.

4 ـ عبد الباقي أحمد، معالم الحضارة العربية في القرن 3هـ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991م.

5 ـ بشير عبد الرحمن، اليهود في المغرب العربي (22، 462هـ/ 642، 1070م)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، 2001م.

6 ـ بكبر بحار إبراهيم، الدولة الرستمية، مطبعة لافوميك، الجزائر، 1985م.

7 ـ بوروبية رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1397هـ، 1977م.

8 ـ جارش محمد الهادي، التاريخ المغاربي القديم (منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي)، المؤسسة الجزائرية للطباعة.

9 ـ جمال الدين عبد الله محمد، الدولة الفاطمية، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1411 هـ، 1991 م.

10 ـ جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب : محمد مزالي والبشير بن سلامة، طبعة مؤسسة تاوالت الثقافية،2011م.

11 ـ الحريري محمد عيسى، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1408 هـ، 1987 م.

ـ الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ط3 ، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت،1408هـ، 1987 م.

12 ـ حسن حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين)، مكتبة الخنانجي للنشر، مصر، 1980 م.

13 ـ حسين حمدى عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية للنشر، 1997 م.

14 ـ حسين ممدوح، إفريقية في عصر الأمير إبراهيم الثاني الأغالبي، دار عمار للنشر والتوزيع، 1417 هـ، 1997م.

15 ـ عبد الحميد سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال، منشأة الناشر للمعارف، الإسكندرية 2003 م.

16 ـ حليمي عبد القادر، جغرافية الجزائر الطبيعية والبشرية والاقتصادية، الجزائر، 1968م.

17 ـ دنون طه عبد الواحد وأخرون، تاريخ المغرب العربي، دار المدار الإسلامي، طرابلس، 2004 م.

18 ـ الرحماني محمد الأمين محمد ومحمد علي، المفيد في تاريخ المغرب، دار الكتاب للنشر، الدار البيضاء.

19 ـ الزركشي أبي عبد الله، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، مكتبة العتيقة للنشر.

20 ـ زيتون محمد محمد، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار للطبع والنشر، القاهرة، 1408هـ، 1988م.

21 ـ سعدون عباس نصر الله دولة المرابطين في المغرب والأندلس، دارس النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1405 هـ، 1985 م.

22 ـ الشريف محمد الهادي، تاريخ تونس، ط3، دار سراس للنشر والتوزيع، تونس.

23 ـشفيق محمد، ثلاثة وثلاثين قرن من تاريخ الأمازيغيين، (د ، ن).

24 ـ طرخان علي إبراهيم، غانة في العصور الوسطى، الهيئة العامة للمكتبة، القاهرة.

25 ـ الطويلي أحمد، في الحضارة العربية التونسية، دار المعارف للنشر والتوزيع.

26 ـ العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

27 ـ علوش ناجي، الوطن العربي الجغرافية الطبيعية والبشرية، مركز دراسات الوحدة العربية للتوزيع، بيروت، 1986 م.

28 ـ عويس عبد الحليم، دولة بنى حماد، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1411 هـ، 1991م.

29 ـ الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ المغرب والأندلس، الناشر مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1984م.

30 ـ الكعاك عثمان، البربر، تامغناست للنشر والتوزيع.

31 ـ مؤنس حسن، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، 2004 م.

32 ـ محسوب سليم محمد صبري، الجغرافيا الطبيعية، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، 1416 هـ، 1996 م.

33 ـ محمدين محمود، التراث الجغرافي الإسلامي، دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1914 هـ، 1999 م.

34 ـ موسى عز الدين أحمد، النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ، دار الشرق، بيروت، 1403 هـ، 1983 م.

35- مؤنس حسين، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987م.

36- http://ar:wikip ediy.org/wiki/.

قائمة المذكرات ومجلات والدوريات:

1. أحمد محمد إسماعيل أحمد الجمال، تاريخ مدينة أودغست ودورها في حركة التجارة بين المغرب وا ٍفريقيا جنوب الصحراء (السوداني الغربي)، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، حولية الثامنة، الإسكندرية، 1426هـ، 2008م .
2. جابر المتولي قميحة، الأسطول المغربي أيام العلويين، مجلة دعوة الحق، عدد 116، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمنشور السعيد، الرباط.
3. سنوسي عبد الفتاح وبلمعبدي محمد الأزهري، دور التجار المغاربة في نشر الإسلام بالسودان الأوسط والغربي (في القرن 3 و7 هـ/ 9 و13م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس، المشرف خالدي مسعود، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2003م، 2004م.
4. علوي مصطفى، الأحوال الاقتصادية للمغرب الأوسط من خلال كتاب الرحالة والجغرفيين المغاربة(ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/ الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين)، دورية كان التاريخية، العدد الرابع عشر، ديسمبر 2011م.

5. مجهول، التجارة في عهد بني زيري بإفريقية (362ـ 543هـ/ 972 ـ 1148م)، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، المشرف مجهول، [د، جامعة]، [د، قسم].

6. محمد بن ساعو، التجارة والتجار في بلاد المغرب الإسلامي (في القرن 07 ـ 10هـ / 13 ـ 15م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف مسعود مزهودي، قسم العلوم الإنسانية شعبة التاريخ، جامعة الحاج لخضر باتنة، 1345هـ، 2014م.

7. محمد موشموش، تطور شكل السكة الموحدية من خلال أربعة نماذج غير منشورة للدرهم المستدير، دورية كان التاريخية، العدد السابع عشر، سبتمبر 2012م.

ـ قائمة المعاجم والقواميس:

1) – أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب للنشر، 1429هـ، 2008م .

2) ـ بكر أحمد زكي، قاموس في الجغرافية القديمة، مطبعة الكبرى الأميرية، مصر، 1317 هـ، 1899 م.

3) – الحميري محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه: إحسان عباس، ط2، مطابع هيدلبرغ، بيروت، 1984 م.

4) ـ الزبيدي محمد مرتضى الحسني، تاج العروس، تحقيق: عبد الشار أحمد فراج، مراجعة: لجنة فنية من وزارة الإرشاد والإنباء، الكويت للمطبعة.

5) ـ الشرباصى أحمد، المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجيل للطبع والنشر، 1401هـ، 1981م.

6) ـ صالح العلي الصالح وأمينة الشيخ سليمان الأحمد، المعجم الصافي في اللغة العربية، المملكة العربية السعودية للنشر، 1401هـ.

7) ـ ضيف شوقي ومجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق العربية للنشر، 1425هـ، 2004م.

8) ـ الفيروز ابادي مجد الدين (ت 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب التراث إشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة للنشر، 1426هـ، 2005م.

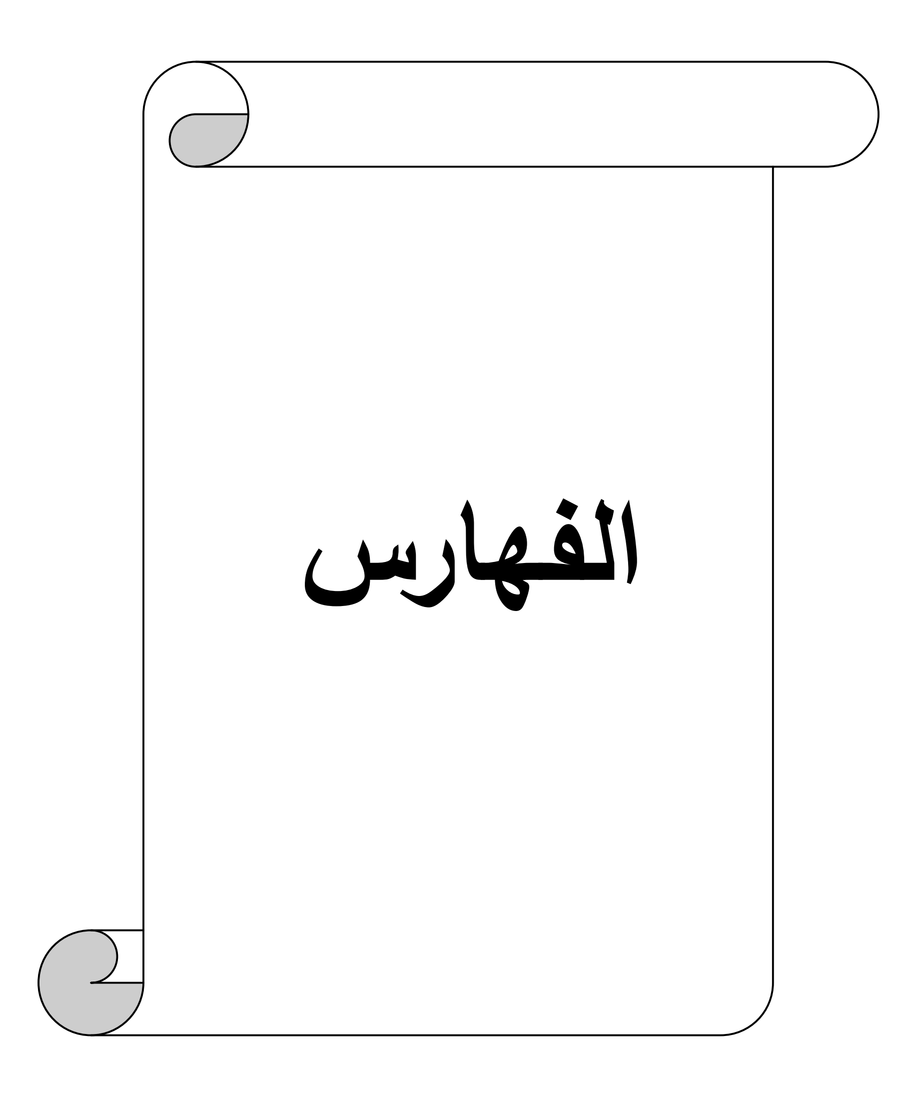
9) ـ ابن المنظور أبي الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

10) ـ نزيه حماد، معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء، دار البشير، جدة، 1429هـ، 2008م.

11) ـ ياقوت الحموي شهاب الدين، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397 هـ، 1977م.

مراجع المترجمة:

1. أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط(500هـ، 1100م)، ترجمة: أحمد محمد عيسي، مراجعة: محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية للنشر والطبع، القاهرة.
2. ايفانز جورج، هيرودوت، ترجمة: أمين سلامة، مراجعة: كمال الملاخ.
3. برنشفيك روبار، تاريخ افريقية في العهد الحفصي (في القرن 13إلى 15م)، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
4. دوكريه فرانسوا، قرطاجة الحضارة والتاريخ، ترجمة: يوسف شلب الشام، دار طلاس لترجمة والنشر، 1994م.
5. كربخال مارمول، افريقيا، ترجمة: عمر حجي وأخرون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1409 هـ، 1989م.
6. مارسيه جورج، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمه: محمد عبد الصمد هيكل، راجعه: مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف للنشر، الإسكندرية، 1999م.


الفهارس

فهرس الأماكن

اسم المكان	الصفحة
ـ أ ـــ	
أجدانيه	62
أجد	42
أدندون	47
أدوغست	95-54-35
أديكيس	44
الأربس	47
أدندن	47
أريش	56
أغمات	93-91-84-64-47-42-33
افريقية	64-56-53-49-47-46-42-39-36-11-9
أمجاو	45
أيت داود	68-44-38-33
أيت عتاب	39-34
أيت عياض	39-34
إبستار	45
إداو عاقل	44-42-38
إقليم الحوز	46
إقليم كرط	45
أوجلة	56
ايتمليمن	54
إيغيلينغيغيل	54-38

ــ ب ــ	
باجة	64
بجاية	100-58-51-49-46
البرتغال	95-35
برقة	64-55-36-8
بسكرة	55-39
بليونس	60
بنزرت	87-60-59-52
بني تاورة	38
بني بصرة	46
بني قرة (لواتة)	41
بونة	71-60-50-47-26-23
ــ ت ــ	
تازا	39
تازرت	33-34-38
تادلا	43-47-39
تارودانت	94-37
تاكتست	91-33
تبسة	41
تدنست	92-44-38-37
تغرة	95-88-53
تفتنة	95-54
تفزة	91-34
تفسرة	46

تكبيث	47
تلمسان	68-48-47-45-41-35-33-23
تنس	64
تونس	71-68-53-52-47-41
تهودة	39
تيدسي	34
تيهرت	101-85-46-40
تييوت	91-33
ـ ث ـ	
ثرغية	39
ـ ج ـ	
بلاد الجريد	54-39
جزولة	43
الجلول	47
ـ ح ـ	
الحاحا	69-54-46-44
الحبشة	39
الحوز	39
ـ د ـ	
درعة	90-88-61
دكالة	34
دوسن	39
ـ ز ـ	
الزاب	71-39
زجندر	37

زويلة	45-34
	ـ س ـ
سبتة	60-42-9
سرت	56-43
سفاقس	88-86-70
سلا	45-42-38
سلجلماسة	91-70-55-50-46-38-34
السودان	96-93-64-54-50-42
السوس	54-48-46-42-38-37-33
سوسة	88
	ـ ص ـ
الصعيد المصري	11-7
	ـ ط ـ
طبرقة	88-60-59-54
طبنة	39
طرابلس	93-74-71-53-50-30-10
طلميثة	50
طنجة	61-40-39-35-10
	ـ ع ـ
عوام	48
	ـ ف ـ
فاس	-58-55-50-47-46-42-39-38-35-34 80-66-62
فزان	92-74-39
	ـ ق ـ

قابس	88-71-53
القرويين	83-41
قرطاجنة	96-52-41
قسطيلية	54
قسنطينة	71-40
قصر العطش	53
القصير	53
قفصة	53
قلعة يسر	53
القيروان	61-53-50-47
ـ ك ـ	
كابت تاولة	38
كتامة	101-62-47-42
ـ ل ـ	
لواته	41
ليبيا	61
ـ م ـ	
مرسى الخرز	99-60
مراكش	46-44-43-38-37-33
مرماجنة	33
مجانة	64-46-39-33
المسيلة	39-23
المغرب الأدنى	50-35-14
المغرب الأقصى	64-54-44-42-34-16
المغرب الأوسط	64-35-15

مغراب	63-54
مكناسة	37
مليلة	100-4-58-45
المنستير	53
المهدية	88-86-60-53-51-36
ـ ن ـ	
بلاد النزجي	54
نقارة	36
نقاوس	39
نفزاوة	54-36
نوميديا	54-50-45-42-38
نول لمطة	54
ـ هـ ـ	
هوانف	58
ـ و ـ	
واجلة	58
الواحات	55-33
واحة ضبر	41
وهران	64

فهرس الجبال

الجبل	الصفحة
جبل أدخسسان	54
جبل ارزوا	64
جبال الأطلس	50-46-43-34-25-11
جبل أمسيول	46
جبال الأوراس	94-4-97-49-15
جبال البرانس	39
جبل بني سعيد	45
جبل بني يستيتن	36
جبل جوجيس	92-39
جبل دادس	54
جبل درن	33-64-43-42
جبل دمنسرة	44
جبل طنطنة	45
جبل وردان	101
جبل الونشريش	48
جبل يدوغ	47

فهرس البحار والأنـهار

البحار والأنـهار	الصفحة
البحر المتوسط	60-58-54-52-45-25-7
بحر المحيط	95-54-42-38-11-8-7
بحر الزقاق	60
نـهر أم الربيع	47-34-25
نـهر أبي رقراق	48
نـهر الجوهر	62-60-25
نـهر سمير	38
نـهر العبيد	34
نـهر ملوية	45
نـهر راع	39
نـهر تيكريكرة	39
نـهر بني سعيد	45
واد لعود	54

فهرس الموضوعات

بسملة

الشكر وعرفان

مقدمة..أ-هـ

الفصل التمهيدي: جغرافية بلاد المغرب الإسلامي

المبحث الأول: الحدود وأصل التسمية..7

المبحث الثاني: أقسام بلاد المغرب الإسلامي...14

1. المغرب الأدنى 14

2. المغرب الأوسط 15

3. المغرب الأقصى..16

المبحث الثالث: تضاريس بلاد المغرب 18

أ. المناطق الساحلية..19

ب.المناطق الداخلية 26

الفصل الأول: جغرافية توزيع المعادن في بلاد المغرب الإسلامي

المبحث الأول: المعادن الصلبة 30

1. معدن الذهب 31

2. معدن الفضة 37

3. معدن النحاس 40

4. معدن الحديد 43

5. معدن التوتيا (زنك)...48

6. معدن الرصاص...49

7. معدن القصدير 51

المبحث الثاني: الملح والشب...52

1. الملح...52

2. الشب 55

المبحث الثالث: الجواهر النفيسة 57

1. جوهر اللؤلؤ 57

أ. الدرة الكبيرة.. 58

ب. المرجان... 58

2. جوهر الياقوت.. 61

3. جوهر الزمرد 63

4. مجموعة من الجواهر الأخر 64

الفصل الثاني: دور المعادن في اقتصاد المغرب الإسلامي

المبحث الأول: الحرف المعدنية.. 66

1. صناعة الحلي... 66

2. صناعة الأسلحة... 69

3. صناعة السفن... 73

4. سك النقود.. 78

5. صناعة الأواني... 82

المبحث الثاني: نمو التجارة المعدنية.. 87

1. التجارة الداخلية... 87

أ. تجارة الملح... 87

ب. تجارة المعادن الصلبة... 90

ج. تجارة الجواهر 93

2. التجارة الخارجية... 94

أ. تجارة الملح... 94

ب. تجارة المعادن الصلبة والجواهر 98

الخاتمة... 105

الملاحق... 108

قائمة المصادر والمراجع 114

قائمة الأماكن 124

الفهرسة 135